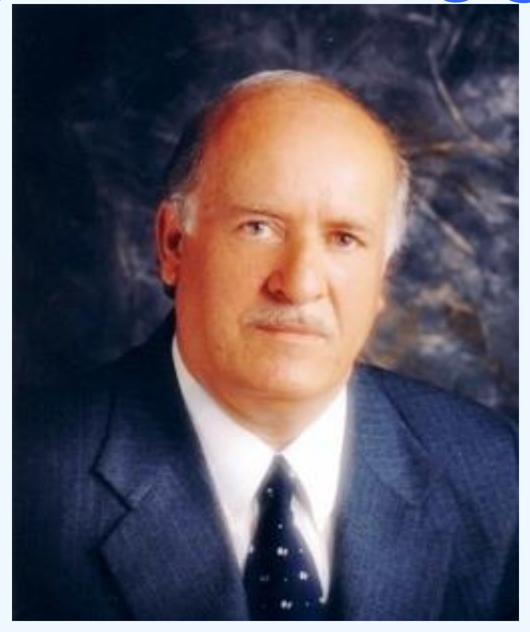
ديوان يحيى سماوي



لا تذبحوا حبيبنا العراق

نعرف أن طينه معاق

وماءه معاق

ونخله معاق

وأن كبرياءه يداس كل لحظة

ب"جزمة" القائد

أو سنابك الرفاق

نعرف أن الناس فيه

يطبخون إرثهم

ويشربون أكؤساً دهاقْ

نعرف أن سادن البستان لص

قاتل..

مخاتل وعاق

نعرف أن الوطن الجريح

يستحم في بحيرة من الدم

المراق

لكننا

نعشقه عشق ضريرٍ للسنا

وأننا

نرضى به هراوة.. شنقة..

جوعاً .. أسىً..

طاحونةً أو مرجل احتراق

نرضى به سوطاً على ظهورنا

أو

شوكة تنام في الأحداق

لا تذبحوا حبيبنا العراق

نصرخ باسم طينه

باسم يتاماه .. مشرديه..

جائعيه

باسم نخله

وعصرنا المثكل في مكارم

الأخلاق

باسم عروبة غدت

دون يد وساق

لا تذبحوا حبيبنا العراق

فلتتركوا مصيره

لأهله العشاق

أعجزت نثري

دعيني من أماسيكِ العِذاب *** فما أبقى التشردُ من شبابي
قَلَبْتُ موائدي ورميتُ كأسي *** وشيَّعْتُ الهوى ورَتجْتُ بابي
خبَرْتُ لذائذ الدنيا فكانت *** أمرَّ عليَّ من سمٍّ وصاب
وجدْتُ حلاوة الإيمان أشهى *** وأبقى من لُماكِ ومن إهابي
إذا يبُسَ الفؤادُ فليس يُجدي *** ندى شفة مُطيَّبَةِ الرضابِ
أنا جرحٌ يسير على دروبٍ *** يتوه بها المصيبُ عن الصوابِ
سُلِبْتُ مسرَّتي واسْتفردتني *** بدار الغُرْبتينِ مدى ارتيابي
وحاصَرَتِ الكهولة بعد وهْنٍ *** يَدُ النكباتِ جائعة الحِرابِ
وما أبقتْ لي الأيامُ إلاّ *** حُثالتها بأبريقٍ خَرابِ
تَرَشَّفْتُ اللظى حين اصطباحي *** وأكملتُ اغتباقي بالضبابِ
أُطلُّ على غدي بعيونِ أمسي *** فما شرَفي إذا خنْتُ انتسابي؟
تُحرِّضُني على جرحي طيوفٌ *** فأنْبشُهُ بسكيني ونابي
وربَّ لذاذةٍ أوْدَتْ بنفسٍ *** وحرمانٍ يقودُ إلى الطلاب
أظلُّ العاشقَ البدويَّ.. أهفو *** إلى شمسٍ وللأرضِ الرَغابِ
أنا البدويُّ لا يُغري نِياقي *** رُخامُ رُبىً.. وناطحةُ السحابِ
أنا البدويُّ.. لا يُغوى صُداحي *** سوى عزف السواني والرَّبابِ
ودلَّةُ قهوةٍ ووجاقُ جمرٍ *** تَحَلَّقَ حوله ليلاً صحابي
وبيْ شوقٌ إلى خبزٍ وتمر ***كما شوق البصيرِ إلى شِهابِ
وَلِلَبَنِ الخضيضِ وماءِ كوزٍ *** وظلِ حصيرةٍ في حَرِّ آبِ
فُطِرْنا قانعينَ بفقرِ حالٍ *** قناعةَ ثغرِ زِقٍّ بالحَبابِ
أبٌ صلَّى وصامَ وحَجَّ خمساً *** وأمٌّ لا تقومُ عن «الكتابِ»
ألا ياأمس أين اليوم مني *** صباحاتٌ مُشَعْشعةُ القِبابِ؟
وفانوسٌ خجولُ الضوءِ تخبو *** ذؤابتُهُ فَيُسْرِجُها عتابي؟
وأين شقاوتي طفلاً عنيداً *** أبى إلاّ انتهالاً من سرابِ؟

أُشاكِسُ رفقتي زهْواً بريئاً *** ومن خَيْشٍ و«جُنْفاصٍ» ثيابي!
ألوذُ بحضنِ أمي خوفَ ذئبٍ *** عوى ليلاً وخوفاً من عُقابِ!
كبرتُ ولايزال الخوفُ طفلاً *** وقد صار «الرفاقُ» إلى ذئابِ!
تطاردُ مقلتي منهم طيوفٌ *** فعزَّ عليَّ ياأمي إيابي
وعزَ على يديك تَمَسُّ وجهي *** لتمسحَ عنه وَحْلَ الاغترابِ!
وعزَّ .. وعَزَّ.. حتى أنَّ عِزّي *** غدا ذُلاً فيالي من مُصابِ!
وعاقبني الزمان وهل كنأيٍ *** بعيدٍ عن بلادي من عِقابِ؟
تقاسَمَتِ المنافي بعض صحبي *** وبعضٌ آثَرَتْهُ يدُ الغيابِ
ولولا خشيتي من سوءِ فهمٍ *** وما سيقالُ عن فقدي صَوابي
لَقلتُ: أَحِنُّ يابغداد حتى *** ولو لصدى طنينٍ من ذُبابِ!
لِوَحْلٍ في العراقِ وضُنْكِ عيشٍ *** جِوارَ أبي المُدَثَّرِ بالترابِ
جوارَ أُخيَّةٍ وأخٍ وأمٍ *** وأحبابٍ يُعَذِّبُهم عذابي!
أبا الحرف البليغ وهل جوابٌ ***كصمتي حين أعجزني جَوابي؟
بلى.. لم ألقَ مثل عرارِ نجدٍ *** ولا كرحابِ مكةَ من رحابِ
ولا كعشيركم أهلاً وصحباً *** ولا كحصونكم دِرْعاً لما بي
عشقتُ ديارَ ليلى قبل ليلى *** فَمِنْ رَحِمِ الصِّبا وُلِدَ التصابي
ولكن شاءتِ الأيامُ مني *** وشاءَ جنونُ طيشي من لُبابي
ولستُ بِمُبْدلٍ كأساً بكوزٍ *** ولا لهواً بِعِفَّةِ «ذي نِقابِ»
أنا البَدويَّ.. في قلبي عِقالٌ *** وَ(يَشْماغٌ)ولستُ بِمَنْ يُحابي
إذا كان العراقُ رغيفَ روحي *** فإنَّ عَرارَ واديكم شرابي

ثلاث زهرات برية

لم يكن يضمر لي شراً خفيّا *** عندما أعلن هجراً أبديّا
لا تلمني إن تعلّقتُ به *** ياعذولي.. فلقد كان وفيّا
كان يدري أنني من دونه *** لا أرى في العيش ما يغري فتيّا

شاء قتلي لا جحوداً إنما *** ليؤاسى بي وكي يبكي عليّا!
*** *** ***

قال: ما حظك؟ قلت: التعب *** أفيلقِى غيره المغترب؟
كلما استنبت حقلاً حصدت *** غرسه قبل الأوان النوب
هو والترحال في مشتجر *** ورفيقاه: الضنى والسغب
فإذا شدّ لأرض خيمة *** شدّه نحو رحيل سبب(١)!
*** *** ***

ملام من يلومك يادموعي *** فما عرفوا مكابدة الفجيع
تركت الطيبين وأرض طيب *** وقبلهما على رغمي ربوعي
وأهلاً لا يفارقهم خريف *** وكانوا كل يوم في ربيع
وعشت الغربتين: فماً وعيناً *** فكيف يسرُّ ذو قلب صديع؟!

يا منقذي من وحول العار

*** ***

مسافرٌ عَبَرَ الدنيا ولم يَجُبِ *** إلا مسافة أجفانٍ من الهُدب
صلى وسلّ يقين العزم يشحذه *** جمرٌ من الثأر في ريحٍ من الغضب
تماثلا عنده في ظل نخوته *** تاجٌ من الجلد أو نعلٌ من الذهب
رأى الحياة مواتاً فاستخار ردىً *** حيّاً حياة رفيف الضوء في الشهب
فصاح بالأرض: شقي القبرَ وانتظري *** ما سوف تحصد أضلاعي من الحطب
وصاح بالدهر: قِفْ حتى يطلَّ غدٌ *** صافي المرايا كدمع العشق والوصب
مشى وفي دمه يمشي الهدى طلقاً *** مشيَ اليراع يخطّ الحرف في الكتب
سلّ الضلوعِ رماحاً ثم فجّرها *** مابين منتهك عِرضاً ومنتهب
*** *** ***

يامنقذي من وحول العار يابطلاً *** جاز الرجولة ضيفاً وهو بعدُ صبي
ويامقيلَ عثار القوم في زمن *** صار الجهادُ به ضرباً من اللغب
أفدي لضعلك أبواقاً وألسنة *** ما جيّشت غير أفواجٍ من الخطب

آمنت بالنار لا إثماً ومعصية *** فقد خُلقتُ حنيفاً غير ذي ريب
مادام أن حديد الظلم تصهره *** نار الجهاد فقد آمنت باللهب

*** *** ***

جاز الزُبى خوفنا حتى لقد خجلتْ *** سيوفنا من أيادينا بمضطرب
تشكو الفضيلة من بغيٍ وقد ثكلتْ *** شهامة واستغاث الصدقُ بالكذبِ
تخشى سفائننا الحيرى ربابنةً *** زاغوا بها بين ديجور ومنقلب
الثائرون ولكن في مخابئهم *** والذائدون ولكن عن سنا الرُّتبِ
وزاعم بالحجى قد راح ينصحنا: *** إن التوسّل دربُ الحق والأرب
تخشّبوا ك«كراسيهم».. متى نبضت *** شهامةٌ في عروق الصخر والخشب؟
تشابها في دجى هذا القنوط خناً *** وعزة واستوى نكرٌ وذو حسب

بغداد والخمسون

ظميء.. واللهيب هَمِيْ *** فما يحسو سوى ضَرَمِ
يُفتشُ في صحارى العشقِ *** عن مُستعذَبٍ شَبِمِ
وفانوسٍ ينشُّ به *** عثارَ طريقه العَتِمِ
يُقوّسُ ظهرَهُ تعَبٌ *** يشدُّ يداً إلى قدَمِ
ينامُ على ندى أمَلٍ *** فيوقظه لظى ألَمِ
ويسْتجدي من الأيام *** صفواً بعد مُحْتدَمِ
به شغفٌ.. ويُخجِلهُ *** تصابي العاشقِ الهَرِمِ
يراودُهُ على شفتيه *** ثغرٌ للرحيق سمي
رأى نبعاً.. فصاح القلبُ : *** ياهذا الذبيحُ صُم
ومئذنة.. فقال لها : *** متى تكبيره الهِمَم ؟
متى الإمساكُ عن جزعٍ *** وعن بَطرٍ وعن سأم؟
وعن عَسَلِ الخنوع يشلُّ *** همَّة أشرفِ الأمم؟
ظميء.. والنهارُ ظمي *** إلى شمسٍ من القيَمِ
يَغُذ إلى الديار السيرَ *** في صحوٍ وفي حُلم

فما جازتْ ركائبُهُ *** سوى سطرين من كَلِم:

إلهي جفّ طيقف العمر *** لا أقوى على سَقمِ

إلهي صُنْ عراقَ الروحِ *** من هوجاءِ مُضطرَمِ

تجيّشتِ الهمومُ عليه *** من سفحٍ إلى قمَمِ

فمن جوعٍ إلى وجعٍ *** ومن ضيْمٍ إلى ظلم

ولا من حيلة فأحوْلُ *** بين أسى ومغتنم

أنا الراعي، وعاطفتي *** عصاي.. وأضلعي غنمي

دمي مرعايَ.. والينبوعُ *** دمعي.. والوجاقُ فمي

أنادمُ في هزيع العمرِ *** ما أهرقتُ من ديم

وقد مَلكَ الهوى مني *** ندى روحي ودفء دمي

عشقنا.. فانتهينا *** بَيْن مُتَّهِمٍ ومُتَّهَمِ!

كلانا نادمٌ.. والعشقُ *** قد يُفضي إلى ندَمِ!

*** *** ***

ويابغداد و«الخمسون» *** بدءُ صبا يدي نِعَم

ونافذة لذي ألم *** ولا أملٌ على رِمَم

نُحشِّمُ مَنْ وكلّ فيه *** جرحٌ غيرُ ملتئم؟

فلا من حزم «هارونٍ» *** ولا من عزم «معتصم»

لمن نشكو و«قاضي العصر» *** ما أبقى على قيم؟

أضاع بصيرة وغفا *** على ريشٍ من الصَمَمِ

*** *** ***

ظميء.. والشراع ظمي *** إلى نهريك والنَسَمِ

إلى نخل السماوة زُفَّ *** بعد الصبرِ للدِّيَمِ

وفاختةٍ إذا هَدَلتْ *** أثار هديلها نغمي

وحَفَّزت المِداد يصبُّ *** كأسَ الحبِ من قلمي

سلاماً يانميرَ الروحِ *** من قلبٍ إليكَ ظمي

فضح الهوى سري

***

لا تسألي من كان قد وهبا *** في الحب تبر طفولة وصبا
مازال رغم حريقه مطراً *** يستنبت الرّيحان والعنبا
وُشِمت جوارحه بمن سكنت *** قلباً أناب لنبضه الأدبا
أسرى به والعشق هودجه *** ماضٍ يطلّ على غد حدبا
أولست ناعوراً لجدوله *** ولسمطه الياقوت والذهبا؟
في أقحوانك من مدامعه *** دفء ونفح غالب الحجبا
أفتسألين سواه؟ أين هوى *** ينسي العيون الجفن والهدبا؟
تنأى به الأحلام فهو على *** وجد يؤمّل منك مقتربا
يقفو دجاك بشمس مقلته *** لو أن قنديل المساء خبا
ويرش رملك من ندى دمه *** ثمل وغير هواك ما شربا
صدقتْ ثمالته وقد كذبت ***كاساته، ورحيقه كذبا
أيقظت في الطفل الألوف منى *** هرمت ونبعاً كان قد نضبا
ياويحه الطفل الألوف أما *** خبر الهوى وهماً ومنقلباً؟
نكثت به الأحلام فانتبذت *** جفنيه لمّا أدمن الوصبا
ويحي عليك.. عليّ.. أيّ هوى *** هذا الذي صرنا له حطبا؟
فضح الهوى سرّي ووطّنني ***كهفاً مع البلوى ومغتربا
وأذلّ قيثاري فما عرفت *** أوتاره في غربة طربا
ويحي عليّ.. نزفت أزمنتي *** مستسهلاً في الحب ما صعبا
عجباً عليّ! أكلّما وهنت *** روحي أزيد صبابة؟ عجباً!
جحد الحبيب فقلت: ذا زعلٌ *** وقسا فقلت: مسامح عتبا
ندمى فنسترضي يداً غرستْ *** نصل الجفاء وأوهنت عصبا
ولقد نرى لنزيفنا سبباً *** وجحود من خذل المنى سبباً
مولاي ياقلبي.. أمن حجر *** ترجو لعشب ظامئ سُحُبا؟
خمسون أو كادت وما برحتْ *** سفني تصارع مزبداً لجبا
خمسون أو كادت ولا مطر *** عذب يضاحك متعباً تربا

خمسون أو كادت لفرط ضنى *** أمسيت أحسب يومها حقبا
خمسون! يوهن عزمها وجع *** في الروحِ أنّ الحتم قد قربا
خمسون أو كادت ولا أمل *** لي بالرجوعِ لمعشر وربى
ل«سماوة» شغف الفؤاد بها *** فاختارها لرفيفه نسبا
فأردّ عن أمي وقد عميت *** ليلاً عصيّ الصبح مضطربا
ولنخلة «البرحيّ» تطعمنا *** ظلاً بصحن «الحوش» والرّطبا
كنّا لفرط الود نحسبها *** حرزاً وناطوراً ونبع صبا
حتى كأن عذوقها نفر *** منا.. ونحسب خوصها طنبا
مازلت أذكر عش فاختة *** فيها وفرخاً آمن اللعبا
ما حالها بعدي؟ وهل عبثت *** أيدٍ بعش يحضن الزغبا؟
للطين وهو دمى طفولتنا *** ليت «السماوة» تتقن الهربا
بيني وبين ضحى شواطئها *** شبر زماناً ليته احتجبا
فيحاء لولا أنّ طاغية *** ألقى على بستانها الجربا
فتوسّدت صخراً وما التحفت *** إلاّ صديد القيح والسّغبا
رغَّبت نفسي عن «سماوتها *** لكنما القلب العنيد أبى
جفّ النداء على فمي ومشى *** تعب بعكاز المنى فكبا
تلهو الرياح بجفن أشرعتي *** وتغلّ دون الطالب الطّلبا
الذكريات؟ تزيدني وجعاً *** ولقد تؤجج زفرة لهبا!
أشياء لا أغلى! تذكّرني *** بغد قتيل أو رماد صبا
نبشت سويعات مجنّحة *** عمري فألفت صرحه خربا
ماذا سيبقى من حدائقه *** إن كان زهر شبابه احتطبا؟
سكب النوى عمري فلا عبقا *** أبقى بكأس القلب أو حببا
كتب الهوى أن يستباح غدي *** باسم المنى.. يانِعم ما كتبا!

أنا ذلك البدوي (يشقيك يا ليلاي ما يشقيني)

***

يشقيك ياليلاي ما يشقيني *** منفاي دونك.. والصّبابة دوني
بتنا وقد غرّبت مذبوح الخطى *** مسكينة تصبو إلى مسكين
مترقبين بشارة النخل الذي *** أضحى سقيم السّعف والعرجون
نخفي إذا اصطخب الضحى آهاتنا *** فتنزّ جمراً في ظلام سكون
جف الضياء بمقلتي واستوحشت *** أهدابها في الغربتين جفوني
من أين أبتدىء الطريق إذا الضحى *** داجٍ وقد سمل الهجير عيوني
ما للضفاف تزمّ دوني جفنها *** والريح تأبى أن تريح سفيني
طوت الكهولة والتغرّب خيمتي *** ومشت خيول الدهر فوق جبيني
مرّت عجافاً لا تزين صباحها *** شمس تضاحك مقلتيّ سنيني
تخشى مؤانستي طيوف أحبّتي *** وتغلّ آهاتي صداح لحوني
شيّعت صحني حين شيّع حقلكم *** قحط فما عرف الوجاق طحيني
ورغبت عن شمسي لأن نهاركم *** مدمىً فما عاد السّنا يغريني
ليلاي ما شرف القطاف إذا استحى *** من طين جذر وانكسار غصون
لو كان لي أمر المطاع على المنى *** أو كانت الأحلام طوع يقيني
أبدلت بالأضلاع سعف نُخيلة *** وبعشب أحداقي حثالة طين
وبرنة القيثار نوح يمامة *** وحصير أحبابي بكأس لجين
ما كنت مجنون الشراع.. ولا الهوى *** لمّا عبرت السور بالمجنون
أغوى الحداء ربابتي فاستنفرت *** أوتارها.. حسب الحداء خديني
أنا ذلك البدوّي.. تحت عباءتي *** بستان أشواق ونهر حنين
أنا ذلك البدوّي.. عرضي أمّة *** ومكارم الأخلاق وشمُ جبيني
غنيت والنيران تعصف في دمي *** عصف اليقين بداجيات ظنون
لكنها الأيام إلا فسحة *** منها بحقل كالجنان أمين
ألِفتْ بها روحي الحبور وصاهرت *** بيني وبين الدفء والنسرين
ليلاي لو تدرين حالي بعدها *** يكفيك أني أشتهي تكفيني
زعم الخيال أن المسرّة من يدي ***كقلائد الياقوت من قارون
وَيْحي! متى مدّ السرابُ ضروعه *** لمباسم الرّيحان والزيتون
أنا نبت حقل «الضاد» ما لغة الهوى *** إن كان عشق الضاد لا يغويني
لم تبقِ لي «الخمسون» غير هنيهة *** أتكون ياليلاي دون أنين

إن كان يكفي العاشقين هنيهة *** فالدّهر كل الدهر لا يكفيني

بهمومنا لا بالخمور

*** ***

بهمومنا لا بالخمور سكارى *** وليأسنا لا للعداة أُسارى
نمتار سُهداً حين يقربنا الدجى *** ونفرّ من ضوء الشموس نهارا
نلقي على الينبوع زلّة نارنا *** أن ليس يطفيء لو غفونا نارا
ونقيم بين قلوبنا ويقينا *** للشك سدّاً مانعاً وجداراً!
نعدو وراء السافحين دماءنا *** أن يمنحوا بستاننا أمطارا
كم مبدلٍ بالمكرمات خطيئة *** واختار في وضح النهار عِثارا
يمضي نميراً للمبيح نجيعه *** ويدكّ فوق الأقربين ديارا
زمن! رأينا فيه كلّ رزيئة *** ضِعنا به فوق الدروب نِثارا
فكأننا لسنا عشير المصطفى *** هذا الذي رفع الجهاد شعارا
وكأنما «الصديق» لم يغرس لنا *** شجراً أفاء بظله الأمصارا
وكأنما «الفاروق» ما صلّى بنا *** في «القدس» لمّا فرّق الأشرارا
وكأنما «عثمان» لم يسرج لنا *** من مقلتيه على دجى أنوارا
وكأن «خيبر» لم يقوّض بابها *** يوماً «عليٌّ» حين كرّ وثارا
وكأننا.. وكأننا *** صرنا على دين اليهود غيارى!
مدّ القريب يداً لغاصب أرضه *** أمّا البعيد فقد حباه مزارا!
زمن! ينيب به الكبار صغارا *** كي يُرجعوا شرفاً لنا وذمارا!
أمّا الأسنة والسيوف وخيلنا *** فلقد أنابت في الوغى أحجارا!
زمن! يصير الجبن فيه بطولة *** والعار مجداً والكرامة عارا!
زمن! تبيع به السياسة أمّة *** والقيد يصبح في الخنوع سوارا
تخشى من الموت الجميل شهادة *** ونكاد نحسب شوك ذلّ غارا!
نعدو لنرتشف السراب ونستقي *** ضرع الهجير ونأنف الأنهارا!
فعلام هاتيك الجموع استشهدت *** إن كان قائدها أقام حوارا؟

سقط القناع عن القناع فلم تعدْ *** تلك البيارق تلفتُ الأنظارا
ربّاه قد شلّ اليسار يميننا *** ويميننا ربّاه شلّ يسارا!
عَطُلَتْ سواعدنا وأوهن عزمنا *** خدرٌ وأدمنت الخيول خوارا
ولقد نمجّد في السياسة فاجراً *** باسم النضال ونشتم الأبرارا!
حتّام نلقي اللوم في أعدائنا *** إن كان صرح جهادنا منهارا؟
ياقدس قد رخص النضال وأرخصت *** شهب المناصب باسمك الأسعارا!
ياقدس قد باعوك سرّاً فاسألي *** طابا» عساها تكشف الأسرارا!
ياقدس ما خان الجهاد.. وإنما *** خان الذي باسم الجهاد تبارى!
أسرى به «الكرسيّ» نحو «كنيست *** سرّاً وبايع باسمنا الأحبارا!
لا تأملي باللائمين عدوّنا *** نصراً، ولا بعدونا إيثارا

نسيب

***

ضامٍ وَكَوْثَرُةُ النَّسيبُ *** أَيَبلُّ ظَمآناً لهيبُ؟ (١)
يحدو بِهَوْدَجِهِ الضَياعُ *** ولا عشيرٌ أو حبيبُ
غَفَتِ البدورُ وأَيْقَظَتْ *** شتى من العَثَرِ الدروب
مُتشابهانِ بمقلتيهِ *** طلوعُ شمسٍ والمَغيبُ
يصبو ل «ليلى في العراقِ *** مريضةٌ» فهو الصَّبيبُ
شَدَّ الرِحالَ عن الفراتِ *** فَشَدَّ خضرتَهُ الشحوبُ
مُتَوَهِّما أَنَ الطريقَ *** إلى جنائنِهِ رحيبُ
كرَّتْ عليه الموحشاتُ *** العُسْرُ تقفوها الخطوبُ
يبكي «الشمالُ» بمقلتيهِما *** ويندبُ الحالَ «الجنوبُ»
أنْ يَمُدَّ يداً الى *** القيثارِ ينتفضُ النحيبُ
يُشجيه صوتُ الأبعدينَ *** وَيَسْتَبِيهِ العندليبُ
أَضْناهُ قولُ الأقربينَ *** غداةَ حاصَرَهُ الوجيبُ
دَعْ للزمانِ بني الزمانِ *** فإنَّ أذرعَهُ تنوبُ

أَطْفِىءْ حريقَكَ بالرحيقِ *** به سَتَنْدَملُ الندوبُ
وانْهَلْ من الينبوعِ ما *** تسقيه حسناءٌ طروبُ
أَمْ قَدْ رَغِبْتَ عن «الجَواز» *** وَزَمَّ مُقْلَتَكَ «الوجوبُ»؟
غابَ الشبابُ سوى حُثا *** لتِهِ .. فأَقْدِمْ يا غريبُ
وَيْحي! أيمنحني الوئامَ *** خَناً وتُصْبيني الذنوبُ؟
خمري إذا جُنَّ المساءُ *** الحلمُ... والأجفانُ كوبُ

وحشة صباح

***

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
كأن أغض الطرف عن ورد الحديقة
وابتهاج ابني بأفراخ الحمام
لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
فإن أمي تشتكي صمما وقد عشيت
لماذا لا أكف عن اتصالي الهاتفي بها
وإرسالي المزيد
من التصاوير الحديثة
هل يرى الأعمى من القنديل أكثر من ظلام؟

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
فإن جارتنا (حسيبة)
باعت الثور الهزيل
وقايضت ثوبين بالمحراث
وابنتها – التي فسخت خطوبتها – اشترت نولا
ولكن الخراف شحيحة..
كادت تزف إلى ثري جاوز السبعين

لولا أن داء السكري أتى عليه
ولم يكن كتب الكتاب
فلم ترث غير العباءة والسوار
ووهم بيت من رخام

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
كأن أصيخ السمع
للماضي الذي لم يأت بعد
وأن أعيد صياغة النص الذي
أهملته عامين
لا أدري لماذا لا أكف
عن التلفت للوراء
ولا أمل من التأمل في حطامي

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
فإن (نهلة) جاءها طفل له رأسان..
(نهلة) كانت القنديل في ليل الطفولة
ضاحكتني مرة.. فكبرت!
اذكر أنني – في ذات وجد–
قد كتبت قصيدة عنها..
وحين قرأتها في الصف
صفق لي المعلم
غير أن بقية الطلاب
أضحكهم هيامي

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
يقول (رفعت) في رسالته الأخيرة:
إن (محمود بن كاظم) بات – بعد العفو – حرا

غير أن حديثه يفضي إلى ريب بعقل
فهو يطنب في الحديث
عن التقدم للوراء
أو
التراجع للأمام

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح
وما سيذبح في رياض فمي
أزاهير ابتسامي
ف(حمادة الحمال) مات حماره
وأنا أرجح أن يكون (حمادة الحمال)
قد قتل الحمار
تدبرا ل(بطاقة التموين)
والسوق التي كسدت
وللحقل الذي ما عاد يعرف خضرة الاعشاب
كان (حمادة الحمال) مختصا بنقل الخضراوات
وكان أشهر في (السماوة)
من وزير الخارجية..
غير أن حكومة (البطل المجاهد) عاقبته
لأنه
ترك الحمار يبول تحت منصة
رفعت عليها صورة (الركن المهيب)
و (حمادة الحمال) يجهل في السياسة..
لم يشارك في انتخاب البرلمان..
وحين يسأل لا يجيب
ويقال:
إن كبير مسؤولي الحكومة في (السماوة)
كان يخطب في اجتماع حاشد

في عيد ميلاد (ابن صبحة)
ثم صادف أن يمر (حمادة الحمال)
فاحتفل الحمار
(وربما ارتبك الحمار)
فكان
أن غطى النهيق على الخطيب
ولذا
أرجح أن يكون (حمادة الحمال)
قد قتل الحمار
أو الحكومة أرغمته
بأمر قائدها اللبيب
ف(حمادة الحمال) متهم
بتأليب الحمار على الحكومة
و (المهيب)

لي ما يبرر وحشتي..
بغداد تطنب في الحديث عن الربيع
ونشرة الأخبار تنبيء عن خريف
قد يدوم بأرض دجلة ألف عام!
وأنا ورائي جثة تمشي..
ومقبرة أمامي!

أصل الداء

*** ***

أربعةً كُنّا مُصابينَ بِداءٍ

أَعْجَزَ الطبيبَ والعَطّارَ في مدينةٍ
جميعُ أهليها يُعانونَ من التَعاسَهْ . . . .
وَمَرَّتِ الأيامُ
حتى حَلَّ في البلدةِ شيخٌ طاعنٌ
مِهْنَتُهُ الفِراسَهْ . . . .
زُرْناهُ نَسْتَفْهِمُ عن أَمراضِنا
بادَرَني بقولِهِ: من أَيِّ شيءٍ تشتكي؟
قلتُ: من الضَبابِ في بَصيرتي
ومن شعورٍ غامضٍ أَفْقَدَني الوقارَ والكِياسَهْ
فتارةً أشعرُ أَنَّ بلدتي مئذنةٌ
تَرِشُّنا بالنورِ والأريجِ
حتى تستحيلَ جَنَّةً أرضيةً . . . .
وتارةً أشعرُ أَنَّ بلدتي إذاعةٌ
تنهى عن المعروفِ أو تأمرُ بالمُنْكرِ
حتى تستحيلَ حانةً لنخبةٍ
ومخدعاً لساسهْ
فلم أَعُدْ أُمَيِّزُ العهرَ من القداسَهْ
أشارَ للثاني : وأنتَ ؟ أيَّ شيءٍ تشتكي؟
أجابَهُ : من عَدَمِ النسيانِ . . . .
من علائمِ انتكاسَهْ
بَدَتْ على وجهِ غَدي . . . .
فَعُمْدَةُ البلدةِ – قبل أنْ يكونَ عُمْدَةً –
كان بشوشاً وتقيّاً . . . .
يبدأُ الحديثَ بالذِكْرِ
ولا يرفعُ حينما يسيرُ راسَهْ
لكنه من بعدما صَيَّرَ منه " الغرباءُ " عُمْدَةً
صارَ جهوماً ...... كاسِراً
مثلَ كلابِ الصَّيْدِ والحراسَهْ !

والتَفَتَ الشيخُ إلى ثالثِنا

(وكان لا زال على مقاعدِ الدراسَهْ) :

وأَنتَ مم تشتكي ؟

أجابه : أشعرً حين أفتحُ الكتابَ

أَنَّ مَدفعاً يطلع من بين السطورِ

فاتحاً شدقيهِ لي . . . .

فأستحيل أرنباً يبحث في الصفِ عن الكِناسِ . . .

تغدو لغتي تمتمةً . . . . .

ودفتري كُناسَهْ !

وأشتكي من صَدَأٍ

طالَ مَرايا الفكرِ في عالمِنا

فلستُ أدري مَنْ بِنا البائعُ والمُباعُ

في " عولمةٍ " النخاسَهْ

. . . .

. . . .

وقالت الرابعةُ " العانِسُ " :

أشكو هاجِسَ الأرملةِ الثكلى

فهلْ من بلسمٍ يوقفُ زحفَ العمرِ

ريثما يمرُّ عابراً شواطئَ البلدةِ حوتُ الحربِ . . .

أو توقِفُ دَوّرانَها طاحونةُ السياسه؟

فأَطْرَقَ الشيخُ مَليّاً . . . . . .

ثم قال جازماً :

أمراضُكُمْ جميعُها مصدرُها

" جرثومةُ الكرسيِّ " في " مستنقعِ الرئاسهْ " !

امتلاء

***

غسلوا الوطنَ بدماءِ أبنائه...

ومن قمة «بيره مكرون»

الى آخرِ نخلةٍ في «جيكور» :

مدّوا حَبْلاً من «السرُفاتِ»

نشروا عليه العراقَ

لا تحت شمسٍ دافئةٍ... ولكن

فوق الموقدِ «العولمي»؟!

لا اكتفي بالنظر الى النصف المملوء من الكأس...

وحتى حين يكون الكأسُ فارغاً

فانني أملأه:

بِعَسَل الأماني...

برحيق الأحلامِ... وبخمرة الأمل..

وإذْ أبصر جسداً يرتجفُ:

أنفخ له جمرةَ قلبي

وأَدَثِّرهُ – ولو بخرقةٍ –

من «قمصان الشغيلة»...

وحيثما سرتُ : أغرس فسيلتي وأمشي

إنْ لم يكنْ من أجلِ طفلٍ طاوي البطنِ

فمن أجلِ أنْ أطردَ بظلالها

لفحةً من هجير... او

من أجل أن أصنعَ من سعفها

مكنسةً أُنظّفُ بها دروبَ الوطنِ

من الوحل الديكتاتوري. كم «غرناطة» يجب أنْ تضيعَ

ليكفَّ «ملوكُ الطوائفِ» عن إثارة الفتنة؟

قد لا يكون في الطين

ما يُغوي البذرةَ على الإنفلاق...

ولا في النهرِ

ما يُغري المحّارَةَ بمغازلةِ الساحل...

ولكنْ حتماً، هنالك محراثٌ

قادر على عقد الأُلفة بين الطين والنهر..

وبين المحّارةِ والبذرةِ

مثلما يعقد العشقُ الإلفةَ بين القلب والقلب

ومثلما تعقد قمصانُ الشغيلةِ

الالفةَ بين زرقة النهرِ

واخضرارِ الحقول...

ليقوم حبلٌ من المسّراتِ

يمتدُّ من قمة جبل «بيره مكرون»

الى آخرِ نخلةٍ في «جيكور»

ننشر عليه راياتِ أعيادنا

مُرددين أناشيد «عبدالله كوران»

وترانيم «بدر شاكر السياب»

بيره مكرون: احد اشهر الجبال في كردستان العراق

وجيكور: احدى مدن اقصى الجنوب العراقي

أرحلوا عن وطني

***

هذه الأرضُ التي نعشقُ

لا تُنْبِتُ وردَ الياسمينْ

للغزاةِ الطامعين

والفراتُ الفَحْلُ

لا ينجبُ زيتوناً وتينْ

في ظلالِ المارقينْ

فأرحلوا عن وطني المذبوحِ شعباً

وبساتينَ. . .

وأنهاراً وطينْ

وأتركونا بسلامٍ آمنينْ

نحن لا نَسْتَبدلُ الخنزيرَ بالذئبِ

ولا الطاعونَ بالسُلِّ

وموتاً بالجُذامْ

فأرحلوا عن وطني. . .

هذه الخوذةُ

لا يمكن أنْ تصبحَ عشاً للحَمامْ

فأرحلوا عن وطني. .

والدمُ المسفوحُ لن يصبحَ أزهارَ خَزامْ

فأرحلوا عن وطني. . .

والبساتينُ التي غادرها النبعُ

وما مرَّ عليها منذ جيلين الغمامْ

تصرخ الآن : أرحلوا عن وطني

وأرفعوا– قبل العقوباتِ– أياديكمْ

عن الشعبِ المضامْ

حَزّرونا منكم الآنَ. .

ومن زيف الشعاراتِ. . .

وتجارِ حروبِ – النفطِ والشفطِ–

وأصحابِ حوانيتِ الشعبِ

أدِلاّءِ جيوشِ الإحتلال

فأرحلوا عن وطني. .

وأشربوا نخبَ أنتصارِ القائدِ الَسَجَّانِ

في الحربِ على الشعبِ السَجينْ

نحن مهزومون حتى قبل أن تبتدئ الحربُ

حقولٌ تشحذُ القمحَ

وطينْ
سال منه الدمُ من بوابة القصرِ
إلى النهر الحزينْ
فأرحلوا عن وطني
وأمنحونا فرصةَ الدفنِ لموتانا
وأنْ نَخْرِجَ من تحت الركامْ
جُثَثاً ما بلغتْ عُمْرَ الفِطامْ
فارحلوا عن وطني
من قبل أنْ يَنْتَفِضَ النخلُ العراقيُّ
ويستلَّ سيوفَ الإنتقامْ

آه ماحيلتي !

*** ***

إزْعلي . . فالزعل *** من فنونِ الغزلْ
كم حبيبٍ جَفا *** ثُمَّ لما وَصَلْ
جاء مُسترضياً *** خِلَّهُ بالقبلْ
يا حبيبي الذي *** بالنعاسِ أكتحلْ
وغفا هانئاً *** بين طيبٍ وَطَلْ
كم حبيب أتى *** وحبيب رحلْ
وأنا ها هنا *** كبقايا طَلَلْ
أرتدي بردةٌ *** من خيوط الأملْ
اللظى في دمي *** والضنى في المقل
إنَّ قلبي على *** عهدهِ . . لن يملْ
آه .. ما حيلتي؟ *** قد خَتَمْتُ الحِيّلْ
عِلَّتي أنني *** ليس بي من عللْ
غير أن الهوى *** في فؤادي أشتعلْ

فأنشري حلوتي *** خيمةٌ من خُصلْ
وأزرعي في فمي *** روضةٌ من قُبلْ

آيات الأخرس

" إلى سيدة نساء هذا العصر ، الشهيدة البطلة آيات الأخرس في ذودها عن آخر قطرة حياء في جبين الأمة . . ".

____

مَنْ تُسْمِعينَ ؟ جميعَهم أَمواتُ *** أَيُصيح سَمْعاً للجهادِ رُفاتُ؟
مَنْ تُسمِعين ؟ وهل تُعيدُ لِجيفَةٍ *** نَبْضاً وَكِبْرَ كرامةٍ أصواتُ ؟
أَم أنتِ صَدَّقْتِ الخطابات التي *** فَقَدَتْ معانيها بها الكلماتُ؟
عَرَبٌ إذا نَطَقوا . . وإن فعلوا فما *** لهمو سوى خُبْثِ اليهودِ سِماتُ
"بَعْضٌ" تَوارَثَ عن أبيهِ خيانةً *** أَنِفَتْ عفونةَ قَيْحِها السوءاتُ
ولبعضهم طَبْعُ الخِرافِ ، إذا رأَتْ *** عَلَفاً تَميلُ بها لَهُ الخَطَواتُ
باعَ العقيدةَ والعروبةَ وأرتضى *** دِيْناً رسولً حِجاهُ "دولاراتُ"
هم والخطيئةُ تَوْأَمٌ لضلالةٍ *** أَيجيءُ من رَحِمِ الضلالِ تُقاةُ؟
قد أَوْغلوا في المخزياتِ فَخُضِّبَتْ *** بدمائِنا ولظى الجحيمِ حياةُ !
لا غَرْوَ لو أَنَّ العروبةَ نَكَّستْ *** رأساً – بهم – وأستَشْرَتِ الظُلُماتُ
هم صانعو مأساتِنا فَبَقاؤُهُمْ *** ما طال لولا هذهِ المأساةُ
ما زال عصرُ الجاهليةِ ما ثلاً *** فالمالُ "عُزّى" والكراسي "لآةُ"
نَذَروا لأَجلِها الشعوبَ رخيصةً *** لهما يُقامُ الذِكْرُ والصَلَواتُ
ما بينَهم والقانتين قَطيعةٌ *** وَثَنِيَّةٌ . . والمارقينَ صِلاتَ
آياتُ دَعْكِ من استثارةِ قادةٍ . . *** أصلُ البلاءِ " القادةُ الساداتَ"!
واسْتَصْرِخي أحفادَ " عروةَ" إنهم *** لشهامةٍ ومروءةٍ آياتُ
آياتُ ما عاد الكُماةُ دريئةً *** للقانتاتِ إذا أسْتَبَدَّ غُزاةُ
باتوا ينيبون الصغارَ إذا دجى *** خَطْبٌ وأَسْرَفَ في الدماءِ عُتاةُ
أبطالُ – لكن في الخطابةِ.. جَيْشُهَم *** قَلَمٌ وسودُ صحائفٍ وَدَواةُ

هم في الوعودِ أَئِمَّةٌ ... لكنَّهم *** إنْ حانَ وقتُ العزمِ حاخاماتُ!
خُصِيَتْ كرامَتُهُمْ فلم يُعْرَفْ لهمْ *** ثأْرٌ إذا ما دِيْسَتِ الحُرُمات
فهو إذا تُغزى البلادُ أرانبٌ *** وإذا تَحَرَّكَتِ الشعوبُ طغاةُ
آياتُ واسْتَوَتِ الفضيلةُ والخَنا *** باسم السلامِ .. وَيَقْظَةٌ وَسُباتُ
لِمَن الجيوشُ تناسلتْ أعدادُها *** حتى لقد ضاقَتْ بها الثَكَناتُ؟
يقتاتُ من خبز الجياعِ حديدُها *** ومن الأُباةِ رصاصُها يقتاتُ
أفدي لِنَعْلَيْكِ الجيوشَ يُخيفُها *** زَحْفٌ وَتُوهِنُ عَزْمَها الشَّهَواتُ
خُلِقوا لنارِ الُدنْيَيَنِ ...وَفَتَّحتْ *** أبوابَها – لمثيلِك – الجنّاتُ
" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى" *** حتى يُطاحَ القادةُ الشُّبُهاتُ

تصابي

***

في آخر العمرِ اكتَشَفْتُ
أنني غَريرُ . . . .
وأنني أملكُ أَنْ أسيرَ وَسْطَ النارِ
دون أَنْ يَطالَ بُرْدَتي السعيرُ . . . .
في آخرِ العمرِ اكتَشَفْتُ
أَنني الزاهدُ .. والراغبُ .. والصعلوكُ .. والأميرُ ..
وأَوَّلُ العشاقِ في مدينةِ الأحلامِ ..
والأخيرُ . . .
وأنني الحكيمُ . . والمجنونُ ..
واكتَشَفْتُ أَنَّ زورقي
أكبرُ من أَنْ تستطيعَ حَمْلَهُ البحورُ ..
وأنني عصفورُ ..
فضاؤُهُ قصيدةٌ مَطْلَعُها عيناكِ ..
واكتَشَفْتُ أنني بلا حبِكِ يا سيدتي فقيرُ

في آخر العمرِ اكتشفتُ
أَنَّ كلَّ وردةٍ حديقةٌ كاملةٌ
وكلَّ كوخٍ وَطَنٌ
وتحتَ كلِّ صخرةٍ غَديرُ ..
والناسَ – كلَّ الناسِ – ما دُمتِ معي عشيرُ
في آخر العمرِ اكتشفتُ
أنَّ قلباً دونما حبيبةٍ
مبخرةٌ ليس بها بخورُ
في آخر العمرِ اكتشفتُ
أَنَّ لي طفولةً ضائعةً
جاء بها حبكِ
فاسْتَعَدْتُ ما أضاعهُ النفيُ
وما خَبّأَهُ عن زمني الديجورُ . .
في آخر العمرِ اكتشفتُ
أنني سادِنُكِ الناسكُ والخفيرُ
أركضُ في روضِكِ
أصطادُ الفراشاتِ التي
أَثْمَلَها في ثَغرِكِ العبيرُ ..
في آخر العمرِ اكتشفتُ
انني طفلُكِ ياسيدتي الطفلةَ ..
طفلٌ عاشقٌ . .
دُمْيَتُهُ ربابةٌ . . . والملعبُ الحصيرُ
فلا تلومي الطفلَ
حين يستَفِزُّ شوكَهُ الحريرُ

رحيل آخر ..!

هَيَّأْتُ من زَمنٍ وَقودي *** لِلَظاكِ ... من رَندٍ وَعودِ
وَسَأَحطبَنَّ لكِ الضلوعَ *** إذا سَعيتِ إلى مزيدِ
لستُ البخيلَ وإنْ رثى *** جَمرُ الضنى بستانَ جودي
ثَرٌّ وما ملكتْ يدايَ *** سوى جُفاء من حصيدِ
تَرَكَ الزمانُ بمفرقي *** زَبدَ السنين .. وفوقَ فودي
ما للسنينَ تمرُّ بي *** ثَكلى بميلادٍ وَعيدِ؟
فاذا شَدَوْتُ وَجدْتني *** مُدمى الجوارحِ في نشيدي
وإذا اصْطبحْتُ فَمِنْ صَدَىً *** وإذا اغْتبقتُ فمنْ وُعودِ
عَجَباً عليَّ ! شَبِمتُ في *** جَمري .. وأحْرَقني جليدي
أَفَكُلما كَتَمَ الفؤادُ ال *** سِرَّ يفضَحهُ قصيدي؟
عُريانُ إلاّ من ثيابِ ال *** شوكِ بستانُ الشريدِ !
لو تستريهِ ببردَةٍ *** من عشبِ واحتِكِ النَضيد
عَهَدَتْ إليكِ بضوئها *** مُقَلي ...فصوْناً للعهودِ
زهراءُ جئتكِ أستجيرُ *** ولستُ بالدَنفِ الفئيدِ
دربي إليكِ معبدٌ *** لكنْ بأحجارِ الصدودِ
وبداجياتٍ لم تنرْ *** إلاّ بِبرْقٍ من رعودِ
فإذا مشَيتُ فَرِحْلَةٌ *** أخرى إلى منفىً جديدِ!
وإذا وَقَفتُ فقدْ غدا *** من دونما معنىً وجودي !
سَيْفانِ ...أَيُّهما سأترِكُ *** تحت شَفْرَتِهِ وريدي ؟!!
□□□
وَحزمْتُ أمتعةَ الطريقِ : *** حُطامُ مغتربٍ وَقيدِ
ما نَفْعُ سيفِ "ابن الوليدِ" *** بغيرِ حَزْمِ " أبنِ الوليدِ "؟
دَعْني ...متى مَنَعَ الملامُ *** رحيلَ بحّارٍ عنيدِ؟
الأرضُ ضَيِّقَةٌ .. فأينَ – *** أَفرُّ من عَسَفِ القيودِ؟
وَطَّنتُ قلبي في هواهُ *** مهاجراً عن كلِّ غيدِ
مُترَقباً عسلَ الوعودِ *** فَصبَّ لي صابَ الوعيدِ
قلبي أنا وطنُ الهوى *** ووجوهُ أحبابي حدودي
لستُ المعنى بالعيو *** نِ الضاحكاتِ وبالقدودِ

ومباسمٍ فجَّ العبيرُ *** بها وفاضَ على الخدودِ
ونُعاسِ جفنٍ يَسْتفِزُّ ال *** صحوَ في أوتارِ عوْدي
وَسَوادِ ليلِ المقلتين *** وَهُدْبِها ... وبياضِ جِيدِ
لكنَّهُ حتمُ المشوقِ *** لِوَصلِ فاتنةٍ نجودِ
وسناءِ قنديلِ العفافِ *** يُضئُ في زَمنِ الجحودِ
أنا والهوى : ضِفتانِ من *** نهرٍ يُضاحكُ رملَ بِيدِ
□□□
كنتُ القريبَ وما وَصَلْتِ *** فكيفَ وصلُكِ للبعيدِ؟
يا مَنْ حَطَبْتِ النخلَ في *** بستانِ عاشقِكِ الطريدِ
لا تحطبي ما قدْ تَبَقّى *** في سهوبي من وُرُود
أضحى طريفي لوعةً *** حَيرى ...وفاجعةً تليدي
زهراءُ لو تدرين ما *** حالُ الشريدِ فتى "الرشيدِ"
ثَقُلَ السؤالُ: لمَ الرحيلُ *** وأنتَ في البيتِ الرغيدِ؟
ماتَ الجوابُ على فمي *** وأغتالَ فيصلُهُ ردودي

رضيت بالحال التي بيننا

***

ألْتَذُّ بالجرحِ ليأتيني *** صوتكِ بالطيبِ فيشفيني
فَطَمْتِ عينيَّ فلا تفطمي *** سَمْعي . . . فَهَمْسٌ منكِ يكفيني
غَنيتُ للحبِ ولا جنحةٌ *** بعضُ الهوى من عبقِ الدينِ
فيا عفافاً رَتلتْ بوحَهُ *** مئذنةُ الروحِ أجيبيني
ما للمسافاتِ التي بيننا *** والمرءُ في حاليهِ ما طُبِعا
وبهِ حَياءٌ من مروءَتهِ *** تُدنيكِ من قلبي وَتقصيني ؟
والوردِ في روضِكِ ما سرُّهُ *** يأبى ظِلالاً من بَساتيني ؟
لِمَ اصطفاكِ القلبُ أيَقونةً *** قُدْسيةً إنْ لم تزينيني ؟

أَخَذْتني مني على غفلةٍ *** خلفَ المدى . . . فلا تُعيديني
خذي بأَمري فأنا ضائعٌ *** فيكِ . . فضيعي بيْ لِتهديني
من دونِكِ العشقُ يَتيمُ الشذا . . *** وأنتِ ؟ كيفَ العشقُ من دوني ؟
أتحضنُ الأجفانُ أطيافها *** وما يساقيكِ يساقيني ؟
وهل عصافيرُكِ تصبو إلى *** عشٍّ بأهدابِ أفانيني ؟
لا تَحذري من نَزَقي . . إنني *** ناسكةٌ حتى شياطيني
دَعي المرايا . . إنَّ لي مقلةً *** أَصفى . . . بعشبٍ ورياحينِ
ولي فَمٌ يُتْقِنُ رَشْفَ الندى *** أمّا يدي فغصنُ زيتونِ
أَخْطَأْتِ لو ظَنَنْتِني بالهوى *** أجنحُ من هَوْنٍ إلى هوْنِ
أَمُصُّ –لو عطشتُ– دَغلاً ولا ***كأسَ نميرٍ من يدِ الدُّونِ
وأَسْتَحي مني إذا أَرْخَصتْ *** عبيرَها روضةُ نسريني
كابَرْتُ لا عشبي ارتضى مِنةً *** من الينابيعِ ولا طيني
ما لي وللينبوعِ في ذلةٍ ؟ *** فَقطرَةٌ في العزِّ ترويني
ولي مروءاتي التي دونَها *** يَبرَأُ قلبي من شراييني
جَرَّبني الصبرُ فأَذْهلتهُ *** لانَ وما هِنْتُ على اللينِ
رَضيتُ بالحالِ التي بيننا *** فكلُّ ما يرضيكِ يُرضيني
إنَّ الذي خضبني باللظى *** نفسُ الذي باتَ يداويني
البرُّ قد يفسِدُهُ آجلٌ *** فالغدُ يبقى غيرَ مضمونِ
مُدِّي يدَ الوصلِ عسى نخلتي *** تزدانُ زهراءَ بعرجونِ

سأنيم حنجرتي ..

***

سَتُسافرينَ غداً ؟
إذنْ ما نَفْعُ حنجرتي ؟
سأدخلُ كهفَ صمتي ريثما تَخْضَرُّ صحرائي
بِوَقْعِ خُطى إيابِكْ

لأعودَ ثانيةً سؤالاً حائِراً :
كيف الوصولُ إلى سحابِكْ
إنْ قَدْ عجزتُ عن الوصولِ إلى تُرابِكْ ؟
سأُنيمُ حنجرتي . . .
فما معنى الغناءِ بلا رَبابِكْ ؟
. . . .
لا بُدَّ من حُلُمٍ
لأَعرفَ أنني قد نمتُ ليلي في غيابِكْ
الآنَ يكتمل انتصاري باندحارِ غرورِ أشجاري
أمامَ ظِلالِ غابِكْ
الآن أرفعُ رايةَ استسلامِ قلبي . .
جَهِّزي قَيْدي . .
خُذي بِغَدي
لأَخْتَتِمَ التَشرُّدَ بالإقامةِ خلفَ بابِكْ
جَفْناً تأَبَّدَهُ الظلامُ
فجاءَ ينهلُ من شهابِكْ
وفماً تَوَضَّأَ بالدعاءِ
لعلَّ ثغرَكَ سوف يهتفُ لي : " هَلا بِكْ "
ما زال في البستانِ مُتَّسَعٌ لنارِكِ
فاحطبي شجري . .
عسى جمري يُذيبُ جليدَ ظَنِّكِ وارتيابِكْ !
إني لَيُغنيني قَليلُكِ عن كثيرِ الأُخرياتِ
فلا تلومي ظامئاً هَجَرَ النميرَ
وجاءَ يَسْتَجديكِ كأساً من سَرابِكْ
فإذا سَقَطْتُ مُضَرَّجاً بلظى اشتياقي
كَفِّنيني حين تأْتَلِقُ النجومُ
بثوبِ عرسٍ من ثيابِكْ
واسْتَمطري لي في صَلاتِكِ ماءَ مغْفِرَةِ

فَقَدْ كَتَمَ الفؤادُ السِرَّ
لولا أَنَّ شِعري قَدْ وشى بِكْ

يا أخت هارون

***

يا أُخْتَ هارون ما أَنْصَفْتِ هاروناً *** ولا الأمينَ ، وأَمجاداً ، ومأْمونا
يا أُختَ هارون هلاّ عُدْتِ فاتنةً *** عذراءَ تَلْبَسُ من دِيْباجِ ماضينا
يا أُختَ هارون قد فاضَت مدامعُنا *** وحسبُ كأسِكِ فاض اليومَ غِسْلِينا!
يا أُختَ هارون ما أَبْقاكِ بيتَ دُجىً *** وكان أَمْسُكِ شَمْساً في مآقينا؟
يا أُختَ هارون قَد جَفتْ حناجُرنا *** من الصّرُاخِ وَقَدْ ذُلَّتْ صَوارينا
دالَتْ علينا صروفُ الدَّهْرِ وأنْقَلَبتْ *** صروحُنا فإذا راياتُنا الدُّونى!
فأَيْنَ منكِ زمانٌ كان يَحْسَبُنا *** فيه الطُغاةُ – على ظُلمٍ – بَراكينا
وأَيْنَ عَهْدُكِ بالمجدِ الذي نَبَضَتْ *** طيوبُهُ في فمِ الدُّنيا تَلاحيْنا؟
كأننا لمْ نكنْ حَقْلاً لذي سَغَبٍ *** وللعدالةِ – في ماضٍ – مَوَازِيْنا
يا أُختَ هارونَ يَومي صارَ يُخْجِلُني *** وصارَ يُخْجِل "منصوراً" وهارونا
أَكُلَّ يومٍ رُحى المأساةِ تَطْحَنُنا *** وَيَسْتَبيحُ الأسى أَبْهى مَغانينا؟
نحنُ الذين غَرَسنا في أضالِعنا *** سيوفنا وَعَبَثنا في روابينا !
مُسَيَّرون جموعاً لا خيار لها *** ونَحْسَبُ القاتلَ المأجورَ حامينا !
رماحنا لم تنلْ إلاّ أحبَّتَنا *** ونارُنا لم تنلْ إلا أهالِينا !
وأننا – فرطَ ما نسعى لِتَفْرِقَةٍ *** ببعضنا – نَحنُ أطمعنا أعادينا
يا أخت هارون والمأساة أفدحها *** أنَّ الزرازيرَ تصطاد الشواهينا !
وأننا قد رَأينا تحتَ داجيةٍ *** مشانقاً فحسبناها بَساتينا
يا أخت هارون ألقينا هوادجنا *** إلى المصائبِ ندعوها وتدعونا
يا أخت هارون أسْلَمْنا ركائبنا *** عيوننا ، وَمَحَضناْها مسارينا
نمشي بها خَبَباً والحُزنُ يزحَمُنا *** وقدْ نُطيلُ وقوفاً خوفَ آتينا !
" عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدْتَ " لا وطني *** في مُقْلتي ، ولم يصدحْ مِحِبّونا

قَدْ غادَرتنا إلى قعرٍ مراكِبُنا *** وأصْحَرَتْ منذْ أجيالٍ مَراسينا
مساكنٌ قد تركناها على مَضَضٍ *** وقد دَخَلْنا إلى أخرى مَساكِينا
نستَعْطفُ الدَّهرَ أن يزري بظالمنا *** وأن يمنَّ على الأحبابِ بارينا
يا أخت هارون أقسى ما نُكابِدهُ *** أنَ الهوى صار بعضاً من معاصينا
وحسبنا قدْ حَمَلْنا حُبَّنا نَسَغاً *** فلا نعيشُ إذا مات الهوى فينا
ويا " سماوةٌ " إنَّ الحبَّ صَيَّرنا *** " ولاّدةً " تَستبي في البُعدِ " زيدونا"
قلبي بهِ من عَذابِ الشوقِ مَذبَحةٌ *** فهل ينوبُ لقاءٌ عن تجافينا؟
ويا " سماوةُ " قنديلي به عَطَشٌ *** لِنَجمِ لَيلِكِ .. لو عادتْ لياليِنا!
" بِنتُم وبِنّا " فلا الأعيادُ تقربنا *** يوماً ، ولا منكم الأعراسُ تأتينا!
"أضحى التنائي بديلاً من تدانينا" *** وعن مباهجنا نابَت مآسينا!
"تَبَغْدَدَ " القَهرُ يا ولاّدتي فإذا *** سَكِيْنَةُ النَّفسِ قد أضحَتْ سكاكينا!
وما انتفاعي بمرآتي وقد فقأتْ *** يدُ الصبابةِ والمنفى مآقينا؟
نَنْأى عن النَبعِ..عن دفءٍ وعافيةٍ *** وقد غَدَونا – من البلوى – مجانينا!
ولادتي أشِراعٌ دون صاريةٍ *** يُغري الرياحَ فنأتيكمْ مُحيينا؟
حرائقُ قد أتيناها طواعيةً *** بأرضِنا ، وعلى قَسرٍ منافينا!
ويا سماوةٌ هل مازال شاطِئنا *** مُطارداً ورغيف الخبزِ مسجونا؟
ولاّدتي ليتنا لم نتخذْ قسماً *** على الوفاءِ ....وليت الحُبَّ يجفونا!
بيني وبينك – لي سرٌ سأفضحهُ : *** حيناً أقومُ .. وأجثو باكياً حينا!
يا أخت هارون ما زالت جَوارحنا *** من بعدكم تشتهي غُسْلاً وتكفينا
أنا أبن حقلِكِ ..مُدّي بأرغفةٍ *** لأشكرنَّكِ خبزاً كان أو طينا
أنا أبن حقلِكِ ..مُدّي بأرغفةٍ *** سأشكرنَّكِ خبزاً كان أو طينا

لهؤلاء أهدي التحية والسلام

***

للطفلِ يحبو فوقَ أرصفةِ الكلامْ . . .

للأُمِّ وَهْيَ تَزِقُّهُ بمكارمِ الأخلاقِ . .

للأَبِ عائداً بِحصادِ ساعدِهِ الحلالِ

مُعَطَّراً بِنَدى الجبينِ . . .

وللينابيعِ . . . البساتينِ . . . الحَمامْ . . .

لِعَصاً تَوَكَّأَها العجوزُ . .

لفارسٍ كبَت الصروفُ بهِ فقامْ

للحُرِّ يأْنَفُ أَنْ يُضيمَ – وإنْ بِمُشْتَجَرٍ –

ويأْبى أَنْ يُضامْ. . .

للصُّبْحِ يغسلُ بالضياءِ الدربَ

من وَحْلِ الظلامْ . . .

لِلَّيلِ ينسجُ من حريرِ نسيمِهِ

بُرَدَ المَسَرَّةِ للنِيامْ . . .

للنهرِ والناعورِ . . للمحراثِ . . .

للوَتَدِ الذي شَدَّ الخِيامْ . . .

لَغَزالةٍ بَرّيَّةٍ أَنِسَتْ بها الصحراءُ . .

للراعي . . الرَّبابةِ . . للخُزامْ . . .

ولِذائِدٍ عن ظبيةِ القلبِ المُتَيَّمِ

بالصلاةِ وبالصيامْ

وَشّى بِتِبْرِ عَفافِهِ جيدَ الهُيامْ . . .

ولشاهرٍ غُصْنَ المحبةِ حين تَحْتَقِنُ الضَغينةُ . .

للحدائقِ حينَ تزدحمُ الخنادقُ . .

للمَوَدَّةِ والوئامْ . .

للمُسْتَبِدِّ اختارَ أَنْ يُلقي السياطَ

إلى الضَّرامْ . . .

للمارِقِ انْتَبَذَ الخطيئةَ فاستقامْ . . .

للريحِ ساقَتْ للثَرى العطشانِ قافلةَ الغَمامْ:

أهدي التحيَّةَ والسلامْ

قبل الحرب . . وما بعدها

***

لي وطنانْ
الأولُ يمتدُ كحبلِ السُرَّةِ
يربط بين نخيلِ البصرةِ
وبساتينِ التينِ بكردستانْ
ينضحُ عشباً . . وحبوراً . . وأمانْ
الثاني من وَرَقٍ . .
أغرسُ فيه زهورَ العشقِ
فتنبتُ شعراً ومناديلَ حريرٍ
وأنا ما بينهما طيرُ أغانْ
لكنْ
في آخر تكبيرةِ فجرٍ من شعبانْ
من عام الفيلِ القوميّ احترقا
فاذا الوّطنُ الأولُ قّفْرٌ
والثاني؟
عصفٌ . . ودخانْ !

.

لي قبرانْ
الأولُ في قلبي
حيث دَفَنْتُ بلاداً
كانت يوماً ضاحكةَ الشطانْ
الثاني؟
في جسدٍ لا يعرف
أين تقيم الروحُ الآنْ
وأنا ما بينهما تابوتٌ يتمشى . .

صرخةُ صمتٍ تطلقها في كهفِ المنفى
حنجرةُ النسيانْ

ليس قنوطاً

جالسٌ على صخرةِ الحاضر...
قلبي يُطبق بنبضه على الماضي البعيد
وعيناي تُحدِّقانِ بالغد!
لكل الصحارى غزلانُها البريّةُ
إلاّ صحراء عينيّ...
لكل البساتين عصافيرها
إلاّ البساتين عصافيرها
إلاّ بستان قلبي...
أتَطلَّعُ في المرايا كي أتأكد
من أنَّ شراعَ الرأس
لا يزال منتصباً على سارية الرقبة!
لستُ بالمستريب، لكن الفصول قد دارتْ
على غير ما تشتهي الأرضُ...
الارض التي دارتْ
على غير ما تشتهي الشمسُ...
الشمس التي يَتَّهمها الظلاميون
بالتضامن مع صباحاتنا!
لستُ بالأخرس...
فأنا أتحدث معهم بالإشارات
خشية أنْ تكشفَ رطانتي و«لُكْنَةُ لساني»
عن عِقالي وكوفيتي
في مدنٍ تحكمها «القلنسوة»!

ما فائدة أن أفهم العالم كله
إذا كنتُ أجهل نفسي؟
سأبقى أصرخ كالملدوغ، واشرقاه
كلما وقفتُ على أبوابِ سفارةٍ
مستجدياًّ السماح لناقة روحي
باجتياز عتبة رصيفٍ اسفلتي...
أصرخ كالملدوغ، وافراتاه
كلما حاصرني العطش وعزفت روحي عن الرحيق...
أصرخ كالملدوغ، واوطناه
كلما أثارتِ الريحُ الايديولوجيةُ
غباراَ فتنةٍ طائفية
وكالملدوغ، أصرخ الآن بوجه الجنرالات:
أطلقوا سراح يمامات حبوري
عشبة شعرية
خَصمانِ ما بَرَحا على زَعَلِ:"
جفنُ السهادِ وَمِرْوَدُ الجَذَلِ
ما أنْ تضوعَ زهورُ أخيلتي
حتى يسوطُ ذبولُها مُقَلي
فَأَفُّر من يومي يُطاردني
رُمحانِ من لَوْمٍ ومن خَجَلِ!
لو كنتُ معتصماً بحبلِ هدىً
لا ناقتي ضاعتْ ولا جَمَلي

نزق

وَتَسْأَلني التي اصْطَبَحَتْ
بخمرةِ وجهِها الحَدَقُ

ولي من صبرِها الصوفيّ مُغْتَبَقُ
لماذا لا يَفوحُ الرَّنْدُ
إلاَّ حين يحترقُ؟
وليس يَشعُّ إلاَّ من سواد مِدادِهِ
الوَرَقُ؟
وهل لهزيعنِا غَسَقُ؟
أَمِ النَزَقُ اصطفاكَ
فأنت مُخْتلِفٌ مع البلوى
وَمُتَّفِقُ؟
***
أجلْ..
لمّا يزلْ بيْ ذلك النَزَقُ..
أرى بحراً
فَيُغْويني بهِ الغَرَقُ
ومضماراً... فأَنْطَلِقُ
وَيُغْريني الطريقُ الصَّعْبُ
مفتوناً بما قَدْ خَبّأت طُرُقُ
وأَجْنَحُ للهيبِ
بِرُغْمِ علمي أنني وَرَقُ
يُحَرِّضُني على خَدَرِ النُعاسِ السُهْدُ
والرَهَقُ
وَيُقْلِقُني –
إذا ما مَرَّ بي في غربتي
صبحٌ ولا قَلَقُ
وأنَّ الليلَ لا هَمٌّ..
ولا أَرَقُ
فَطولُ إقامةٍ
في غيرِ دار أَرومتي

حَمَقُ!

نتوءات

***

١ –

لا فَرْقَ بين الموتِ والميلادْ

ما دام أَنَّ الناسَ في مدينتي

مزرعةٌ

يقطف من رؤوسها الجلاّدْ

وباسم صولجانِهِ

تُؤَبَّنُ البلادْ

لا فَرْقَ بين الموتِ والميلادْ

وها أنا

يومٌ يتيمُ الغَدِ

في حقيبتي وَهْمٌ

وفي ربابتي صمتٌ..

فما الإنشادْ

إنْ جَفَّ ماءُ «الضادِ» في حنجرتي

وحاصرتني شَهْقَةُ العويلْ؟

الليلُ في قلبي

فماذا ينفعُ القنديلْ؟

***

٢ –

تَوَسَّدَ الوِجاقْ

رمادَهُ...

توسَّدَ العراقْ

مِخَدَّةَ السبيِ

فَشاصَ الخبزُ في التنورِ (١)

والضياءُ في الأحداقْ

***

٣–

ما عادتِ الأقمارُ تُغري

مَقَلَ السُهادْ

متُّ غريباً

قبلَ أَنْ أعيشَ يا بغدادْ

***

٤ –

كلَّ صباحٍ

أبدأُ الرِحْلَةَ في مدينةِ الأشباحْ

تقودني حافلةُ النهارِ نحو الليلِ..

أحياناً يقودني رنيمُ الليلِ

نحو شرفةِ الصباحْ

منطفيءَ العينينِ

أو

مَهَشَّمَ المصباحْ

***

(١) شاص: التمر: فَسُدَ

العين: اضطرب جفنها

من رماد الذاكرة

***

على ما يذكرُ الآباءْ

إنَّ الارضَ كانت غير ضَيِّقَةٍ
وكان الماءُ أعذبَ
والرغيفُ أَلَذَّ
والأعشابْ
أكثرَ خضرةً...
حتى فاتناتُ الأمسِ
كُنَّ أَرَقَّ...
والخيلُ القديمةُ
لم تكن تُرْخي اللجامَ لغيرِ فارسِها...
ولا كان الجبانُ يصولُ في الميدانِ...
والأغرابْ
لا يتحَكَّمونَ بقوتِ ذي سَغَبٍ
وَنَبْضِ رقابْ..
وَيَقْنَعُ بالقليلِ من القطيعِ الذئبُ
لا كذئابِ هذا العصرِ...
و«الخيش» و«الجُنفاصُ»
أذكرُ أنَّ أُمي حَدَّثَتْني عن بيوتٍ
دونما أبوابْ
وتقسمُ أَنَّ جاراً
قد أضاعَ شُوَيْهَةً يوماً
فَعادَتْ بعد عامٍ خَلْفَها حَمَلٌ
يقودهما فتىً سألَ المدينةَ كلَّها
عَمَّنْ أضاعَ شُوَيْهَةً يوماً...
على ما يذكر الآباءْ
كان الناسُ
لا يَتَلَفَّتون إذا مشوا في السوقِ
أَنْعَمَ من حريرِ اليومِ
او

خرجوا من المحرابْ

***

على ما سوفَ يذكر بعدنا الأبناءْ

إنَّ الأرضَ

أضيقُ من حبال الشنقِ في بغدادَ

والماءَ الفراتَ له

مذاق الصّابْ..

وانَّ الجارَ يخشى جارَهُ

وتخافُ من أجفانها الأهدابْ

***

مبتدأ وخبر

*** ***

هادئةً «مريمُ» كالنُّعاسْ

تأتي... وكالصَّدى

يثملُ في أحداقِها النَدى

ومن زفيرِها يضوعُ الآسْ

فَيَأْرَقُ المدى

مُسامِراً صوتي... ولا صدى

غيرُ رنيمِ الكاسْ

***

تجيئني «مريم» نصفَ الليلْ

شمساً...

وفي النهارْ

نجماً خُرافيّاً..

وفي الصيفِ شتاءً دافىء المطرْ

وها أنا

أبحثُ عن «مريمَ» في بريَّةِ الغربةِ

أستجدي «أبا نؤاسْ»

حثالةً من خَدَرِ الليل

وشيئاً من جنونِ الكاسْ

وأسألُ الرحمنَ صَبْرَ الرملِ والحَجَرْ

جُبْتُ سهولَ النارِ والثلجِ

ولا أَثَرْ

مَضَرَّجاً بالوَجَعِ الصوفيِّ..

بالوجدِ..

وبالضَجَرْ

أنشُّ عن وحشةِ ليلي قَمَراً

وعن مَرايا الصبحِ وجهي

وتنشُّ الريحُ عن أشرعتي الضفافَ..

أمسي؟ جَنَّةٌ..

وحاضري؟ سَقَرْ

مُبْتَدأٌ «مريمُ» في كتابِ عمري..

وأنا الخَبَرْ

***

لي ما يبرر وحشتي هذا الصباح

«قراءة في رسائل من داخل الوطن»

لي ما يُبَرِّرُ وحشتي هذا الصباحَ

كأنْ أَغضُّ الطَرْفَ عن وردِ الحديقةِ

وابتهاجِ ابني بأفْراخِ الحَمامِ

لي ما يُبَرّرُ وحشتي هذا الصباحَ
فإنَّ أمي تشتكي صَمَماً وقد عَشِيَتْ
لماذا لا أكفُّ عن اتصالي الهاتفيّ بها
هل يرى الأعمى من القنديلِ أكثرَ من ظلامِ؟
***
لي ما يبرر وحشتي هذا الصباحَ
فإنَّ جارَتَنا «حسيبةَ»
باعت الثورَ الهزيلَ
وقايَضَتْ ثَوْبَينِ بالمحراثِ
وابنتها – التي فُسِخَتْ خطوبتُها – اشترتْ نولاً
ولكنَّ الخِرافَ شحيحةٌ..
كادَتْ تُزَفُّ إلى ثريٍ جاوَزَ السبعينَ
لولا أنَّ داءَ السُكّريّ أتى عليه
ولم يكن كتبَ الكتابَ
فلم تَرِثْ غيرَ العباءَةِ والسِوارِ
وَوَهْمِ بَيْتٍ من رُخامِ
***
لي ما يُبرّرُ وحشتي هذا الصباحَ
كأنْ أصيخ السَمْعَ
للماضي الذي لم يأتِ بَعْدُ
وأنْ أُعيد صياغةَ النصِّ الذي
أَهْمَلْتُهُ عامينِ
لا أدري لماذا لا أكفُّ
عن التَلَفُّتِ للوراءِ
ولا أَملُّ من التأَمُّلِ في حطامي
***
وإرسالي المزيدَ
لي ما يُبَرّرُ وحشتي هذا الصباحَ

فإنَّ «نهلةَ» جاءها طفلٌ له رأسانِ..

«نَهْلَةُ» كانتِ القنديلَ في ليلِ الطفولةِ

ضاحَكَتْني مرةً ... فكبرتُ!

أذكر أنني – في ذاتِ وجدٍ –

قد كتبت قصيدةً عنها...

وحين قَرَأْتُها في الصَفِّ

صَفَّقَ لي المُعَلّمُ

غير أَنَّ بَقِيَّةَ الطلابِ

أَضْحَكَهُمْ هُيامي

***

من التصاويرِ الحديثةِ

لي ما يبررُ وحشتي هذا الصباحَ

يقولَ «رفعتُ» في رسالته الأخيرةِ:

إنَّ «محمود بن كاظمَ» بات – بعد العفوِ – حُرّاً

غير أَنَّ حديثَهُ يُفْضي الى رَيْبٍ بعقلٍ

فهو يُطْنِبُ في الحديثِ

عن التقدمِ للوراءِ

أو

التراجعِ للأَمامِ

***

لي ما يُبَرِّرُ وحشتي هذا الصباح

وما سَيَذْبَحُ في رياضِ فمي

أزاهيرَ ابتسامي

ف «حَمادةُ الحمّالُ» مات حمارُهُ

وأنا أُرَجِّحُ أنْ يكونَ «حمادةُ الحمّالُ»

قد قتل الحمارَ

تَدَبُّراً ل «بطاقةِ التموينِ»

والسوقِ التي كسُدَتْ

وللحقلِ الذي ما عادَ يعرفُ خضرةَ الأعشابِ
كان «حمادةُ الحمّالُ» مُخْتَصّاً بنقلِ الخضرواتِ
وكان أشْهَرَ في «السماوةِ»
من وزيرِ الخارجيةِ..
غير أَنَّ حكومةَ «البطل المجاهدِ» عاقَبَتْهُ
لأنه
تَرَكَ الحمارَ يَبولُ تحتَ مِنصَّةٍ
رُفِعَتْ عليها صورةُ «الركن المهيبْ»
و«حمادةُ الحمّالُ» يجهلُ في السياسةِ..
لم يشارِكْ في انتخابِ البرلمانِ..
وحين يُسأَلُ لا يُجيبْ
ويُقالُ:
إنَّ كبير مسؤولي الحكومةِ في «السماوةِ»
كان يخطبُ في اجتماعٍ حاشدٍ
في عيدِ ميلادِ «ابنِ صبحةَ»
ثمَّ صادفَ أَنْ يَمُرَّ «حمادةُ الحمّالُ»
فاحْتَفَلَ الحمارُ
(وربما ارتبكَ الحمارُ)
فكانَ
أنْ غَطّى النهيقُ على الخطيبْ
ولذا
أُرَجِّحُ أنْ يكون «حمادةُ الحمالُ»
قد قَتَلَ الحمارَ
او الحكومةُ أَرْغَمَتْهُ
بأَمْرِ قائدِها اللبيبْ
ف «حمادةُ الحمّالُ» مَتَّهَمٌ
بتأليب الحمارِ على الحكومةِ
و«المهيبْ»

***

لي ما يُبَرّرُ وحشتي....

بغداد تُطْنِبُ في الحديث عن الربيعِ

ونشرة الأخبارِ تُنْبِيءُ عن خريفٍ

قد يدوم بأرضِ دجلةَ ألف عامِ!

وأنا ورائي جُثَّةٌ تمشي..

ومقبرةٌ أمامي!

***

عشق

عشق ...

طينُهُ في دمي...

هل أنا جدولٌ ظاميءٌ؟

أَمْ فَنَنْ؟

صوتُهُ في فمي...

هل أنا مِعْزَفٌ راعِفٌ؟

أَمْ شَجَنْ؟

يومُهُ موسمي...

هل أنا روضةٌ

كلَّما أزهرتْ

ساطَ اورادَها شوكُ رعبٍ

وَظَنْ؟

خائفٌ ... أحتمي

من لظى يقظتي

بضبابِ الوَسَنْ

هل أنا جُثَّةٌ

والحياةُ الكفَنْ؟

يا منى رَمِّمي

ما أَطاحَ الضغَنْ

قمتُ من مأْتَمي

مؤمناً بالسَنا

كافراً بالدُّجَنْ

لستُ بالمُغْرَمِ

إنْ تكن مقلتي

لا ترى جَفْنَها

خيمةً للوطنْ

ضفتان ولا جسر

***

في آخر تكبيرةِ فجرٍ

من شعبانْ

في عامِ الفيلِ القوميِّ

طَوَيْتُ بساطي..

قلتُ لأمي:

حفنة أيامٍ

وتعودُ حمامةُ قلبي لروابيكِ..

تعودُ الخضرةُ للأَفْنانْ

رَشَّتْ حولي ماءً عَفِناً

(كنّا نشربُ من تُرْعَةِ بستانْ)

وأنا كنتُ رَشَشْتُ يديها بالقُبُلاتِ

وحين هَمَمْتُ بلثم صغيري

صَرَخَتْ زوجي:

دَخَلَ الجندُ الحيَّ!

فَلَمْلَمْتُ بقاياي..

وكالنَسْناسِ

قفزتُ إلى سطحِ الجيرانْ

لم يمهلْني الرعبُ طويلاً

فَتَعَكَّزْتُ ضلوعي قبل طلوعِ الشمسِ

طريداً

أبحثُ عن واحاتِ أمانْ

مَرَّ الليلُ الأولُ في قريةِ «سيِّد جبار»...

الثاني؟

في الصحراءِ..

الثالثُ؟

في «سفوانْ»

ثُمَّ توارى النخلُ... المدن الثكلى..

والخِلاّنْ

***

أقفُ الآنْ

في منعطف العمرِ غريباً

بين صديقٍ لا أعرفُهُ..

وعدوٍّ يعرفني..

حيناً تحرقني الأمطارُ

وحيناً

تُثْلِجُني النيرانْ..

أقف الآنْ

بين صديقٍ لا يعرفني

وعدوٍّ أعرفُهُ..

بينَ عبيرِ زهورِ الروحِ

وأشواكِ الجسدِ الشيطانْ

مَنْ ينقذني مني؟
فَيُوَحِّدُ ما بين يقينِ جذوري
وظنونِ الأغصانْ؟
فأنا الانْ
ضِفَتانِ ولا جسرٌ..
نصفي وحشٌ –
والآخرُ انسانْ!
***
في آخرِ تكبيرة فجرٍ من شعبانْ
من عامِ الفيلِ القوميِّ
ابتدأ الرحلةَ رجلٌ في مُقْتَبَلِ العشقِ..
وزوجٌ .. وصغيرانْ
***

حلمتُ يوماً

***

حلمتُ يوماً أنني جناحْ
وحينما استَيْقَظْتُ
كانت السماءُ صهوةً
وَسَرْجُها الرياحْ
وكان ما بيني وبين الوطنِ المُباحْ
مشنقةٌ
تمتدُّ من سِتارةِ الليلِ
الى نافذةِ الصباحْ
***
حلمت يوماً أنني صرتُ «أبا نؤاسْ»

وحينما هاجر من أحداقيَ النُعاسْ
رأيتُ جفني زِقَّ أحزانٍ
وجرحي كاسْ
وكان ما بيني وبين الوطنِ الجريحِ
قَيْحٌ
ودمٌ يسيل من مئذنةِ الصباحْ
وروضةٌ مذبوحةُ الأغراسْ
***
حلمتُ يوماً أنني العراقْ
وحينما فَرَكْتُ أحداقي
تَخَثَّرتْ على أجفانِها الأهدابْ
وكان ما بيني
وبين اللهِ في المحرابْ
«أبرهةُ» الجديدُ في «الكوخِ»
وفي «الرصافةِ» الذئابْ
***

حطام

مُعْتَمِراً خوفي
أجوبُ المُدُنَ الصخريةَ الأشجارْ
أُخفي عن الجفافِ في عينيَّ
ما في القلبِ من أمطارْ
أَنْسَلُّ من تحتِ حُطامي..
قَمَري الطينيُّ في حقيبتي..
وفي يدي «عُكّازةٌ» عمياءْ
أبحث في بَرِيَّةِ الغربةِ عن مدينةٍ

لا يهرمُ الضياءْ

فيها...

ولا يهربُ فيها النجمُ

مذعوراً من المساءْ

....

....

معتمراً قلبي

أجوبُ الخوفَ...

أُخفي كلَّ ما ادَّخَرْتُ من مكارمِ الصحراءْ

أَنْفَخُ في رمادِ أمسي

فَلَعَلَّ جمرةً تُعيدُ للوجاقْ

مبخرةَ الدفءِ التي أطْفَأَها الفراقْ

عن خيمتي..

وناقتي...

وعن دِلال قهوتي..

ورقصةِ الفنجانِ في ملاعب الأحداقِ

في وطنٍ –

كان يُسَمى: جَنَّةُ الأرضِ..

او

العراقْ؟

توغّل

***

تَوغَّلْتُ في داخلي

باحثاً في رمادِ السنينْ

عن السِّرِ في عثراتي..

وَجَدْتُ من الشكِّ دَغْلاً كثيراً
وشوكاً يُخَرِّزُ وردَ اليَقينْ
رأيتُ شَمالي لهيباً
يَحاصرُ عشبَ اليمينْ
فكنتُ الطليقَ السجينْ
سأَعْتَذرُ الانَ مني...
لأني
نَأَيْتُ بقلبي عن القانتينْ
وأني
كذبتُ عليَّ طويلا
وأَبْحَرْتُ في وَحْلِ ظني
نداماي ريحٌ
وكأسي سفينْ
وأني حَجَبْتُ عن الياسمينْ
فراشاتِ ضوءٍ
وينبوعَ شَهْدٍ
وعصفورَ طينْ
***
بعيداً تَوَغَّلْتُ في كهف ذاتي
أُفَتِّشُ عمّا أَضَعْتُ...
ذُهِلْتُ..
وجدتُ رُفاتي
يُعيبُ عليَّ حياتي
وليلايَ تَبْرأُ من صَبَواتي
إذن؟
هاتني برهةً منكَ...
هاتِ..
لأغسْلَ عتمةَ روحي

بضوءِ الصلاةِ

***

تقرباً لله

تَقَرُّباً للّهْ

أَلْعَنُ كلَّ ليلةٍ «سفّاحَ بغدادَ»

وَمَنْ والاهْ

والقادَةَ «الإماءَ»

و«الأشاوسَ» الشِياهْ

يرعونَ في زرائبِ السلطةِ

مُثْقَلينَ بالأوسمةِ الزيفِ

وما تَنْثرُهُ يَداه

يقودهم قيادةَ القطيعِ في مرعاهْ

راعي مراعي البعثِ

أو

«نَجلاهْ»

أبطالُ نصفِ الليلِ

جلاّدو العصافيرِ

لصوصُ الفَرَح الطفلِ

بُناةُ ال «آهْ»

وقاطعوا الألسنِ في حدائقِ الغناءِ

يبتغون مرضاةَ عدوِّ اللّهْ

المُحْدِثونَ –

في ثيابهم إذا تَحَدَّثَتْ

بنادِقُ الثورةِ في محكمةِ الحياهْ

***

تَقَرُّباً للهْ

كفرتُ بالنهر الذي

يَبْرأُ من مَجراهْ

وحاكمٍ –

كرسيُّهُ مولاهْ

كفرتُ بالجِباهْ

تَخَشَّبَتْ

لِفَرْطِ ما دِيْسَتْ ب «نَعْلِ الجاهْ»

وبالصّناديدِ «النشامى»

ما سحي أحذيةِ القائدِ

حُرّاسِ جَواريهِ

طُهاةِ العَلَفِ اليوميّ من مَدْحٍ

و«رَدْحٍ»...

والأناشيدِ التي تُمَجِّدُ المأْساهْ

وباعةِ الشعرِ على أرصفةِ «المربدِ»

سوقِ الهَرَجِ الممتدِّ من إذاعةِ القصرِ

إلى

«بالوعةِ» النَصْرِ الذي جَناهْ

مُهَتَّكٌ...

وبالذُبابِ البشريّ هائماً

يبحث في مزابلِ السلطةِ

عن حثالةٍ من دَسَمِ الرفاهْ

***

تقرباً للّهْ

أبتديءُ الصلاةَ في لَعْنَتِهِم...

أتَكْملُ الصلاهْ

من دون أَنْ تَلْعَنَ «إبليسَ»

ومَنْ سار على خُطاهْ؟

***

تقرباً للّهْ

دَفَنْتُ في قلبيَ

غرقى صَخَبِ المياهْ

تحولات عائشة

يسقطُ مذبوحاً بوردِ عشقِهِ

يسيلُ فوقَ حائطِ النورِ

دمُ الغارسِ من ضلوعِهِ بستانْ

تسكنُهُ «عائشةُ» الأزمانْ

قصيدةً ضوئيةً..

ينهضُ من سطورِها «الحلاّجُ»

مصلوباً على الطِرسِ...

ومن وحشتِهِ

تنهض من سباتِها شقائقُ النعمانْ

ونهرُ عنفوانْ

مُبَشِّراً طفولةَ النهارِ بالسُنبلِ

والمساءَ بالنُعاسِ

والقتيلَ بالحياةْ

يُحَرِّضُ النورَ على العتمةِ

والماءَ على الجفافِ

والحُفاةْ

على لصوصِ المطرِ الأرضيّ والطُغاةْ

مُضَرَّجاً بعشقِهِ

يصرخ في بَرِيَّةِ الوحشةِ:

«لارا» هَرِمَ الدهرُ

ولا زال فتىً سادنُ نهرِ النورْ
يحرسُ تحت جفنِهِ
بقيّةً من شَجَرِ «الخابورْ»
وطينَ «نيسابورْ»
ليعقد الأُلفةَ بين الماءِ والنيرانْ
في الوطنِ الممتدِّ من نوافذ القلبِ
الى ستائرِ الأجفانْ
ليدخلَ الانسانْ
باسم غدٍ لا يألفُ القهرَ
ولا يحكمه المنبوذُ
والأحمقُ ... والجبانْ
و«سارقُ الرغيفِ والدواءِ
والأوطان» (١)

****

(*) تحولات عائشة: آخر اصدار شعري للشاعر البياتي وكنت قد نشرت هذه القصيدة في ملحق الاربعاء من صحيفة المدينة بتاريخ ٢ ربيع الاول ١٤٢٠ هـ وحين قرأها الفقيد البياتي قبل رحيله بأيام قليلة هاتفني قائلاً: انها اول قصيدة رثاء يقرأها المرثى قبل رحيله!

(١) من قصيدة التنين للبياتي

بي خرس

لي منكَ ما للوردِ من جمرٍ
وما للنورس البحريِّ من بَرِيَّةٍ..
تَعِبَ المهاجرُ من حقيبتِهِ
الحدائقُ أوصدتْ أزهارَها عن مقلتيَّ
وأَطْفَأَتْ

ريحُ المنافي ما تَبَقّى
فوق مائدةِ اصطباري من شموعْ
في الأرض مُتَّسَعٌ لأَغراسي
ولكنَّ النخيلا
يأبى سوى ارض العراقِ له حقولا
فُكُنِ المُقيلَ .. لقد كبوتُ..
كُنِ المُقيلا..
واسْتَغْلَقَتْ ماءَ المعاني أنهرُ الكلماتِ
بي خَرَسٌ
أَعِدْ لي نبض حنجرتي
فما بَرِحَ المغني –
يَسْتَجيرُ بعَزْمِ خيلِكَ أَنْ تصولا
***
مُسْتَعْطِفاً عشبَ الربيعِ
حملتُ صحرائي خريفاً موحِشاً
مولايَ أَلْجِئني اليكَ
فربما ستعود للبستانِ خُضرتُهُ
وتَأْتَلِقُ الربوعْ
مَرَّتْ فصول العمرِ مُجْدِبَةً
أُفَتّشُ في تُرابِ القلبِ
عن ياقوتةٍ طينيةٍ..
هل بعد صَحْنِكَ غيرُ خبزٍ من صباباتٍ
وماءٍ من دموعْ؟
***

الاختيار

جيلانِ مَرّا
مُذْ مضى أَبَتي وغادَرَ بيتَنا
كيفَ استفاقْ؟
فَأَطَلَّ من خلفِ الرِواقْ
عيناهُ مُمْطِرتانِ
بَدْلَتُهُ العتيقةُ نفسُها
والخوفُ نفسُ الخوف
نَفسُ القهرِ شَلَّ يداً وساقْ
نفسُ العقالِ الوَبْرِ واليشماغِ
مَنْ؟ أَبَتي؟
اسْتَرِحْ
وانْفضْ على صدري رمادَكَ
طالَ جمرُ الاحتراقْ
فبكى
رمى الماءَ الذي قَدَّمْتُهُ
خبزي المُعَفَّرَ بالترابِ
بكى
وأَخْرَجَ مُصْحَفاً وكتابَ أدعيةٍ
وقالَ
إليك يا ولدي الذي خَبَرَ الحدائقَ والحرائقَ
والدهاليزَ . . المنافي
والتجافي . . والعناقْ
أَقْسِمْ بأنك لن تبيع دموعَ أُخْتِكَ
في مزاداتِ السياسةِ
لن تخونَ دمَ الرفاقْ
أَقْسِمْ بأنك لن تخونَ النخلَ

أو لبنَ الأمومةِ
لن تَمُدَّ يد النفاقْ
فاخْتَرْ
فأما أنْ تكونَ مع العراقْ
أو
أَنْ تكون معَ العراقْ

كأني أُطالبُ بالمستحيلْ :

يغادرنا القادمون على " السُرفاتْ"
يعود المزارعُ للحقلِ
والطفل للدفترِ المدرسيّ
تعودُ الحياة
طبيعية مثل طين الفراتْ
وأن لا يعود العراقُ
سرير الطواغيتِ
أو
ساحةً لخيول الغزاةْ
...
كأني أشذُّ عن القاعدهْ
فأحلمُ بالمستحيلْ :
يضيءُ الحبورُ البيوتَ
ويغدو النخيلْ
مآذنَ مُشرعةً للهديلْ
...
تذكرتُ

مَنْ لي بنبضٍ
يعيدُ الرفيفَ لهذا الزمانِ القتيلْ؟
أين ستهربينَ من حبي
أين ستهربينَ من حبي؟
تمنَّعي عليَّ
أطعمي اللهيبَ كلَّ ما بعثتهُ اليكِ
من شعرٍ..
وما رسمْتُهُ بريشةِ الصَبِّ
وسافري حيثُ تشائينَ
بعيداً عن تضاريسي
وعن رَكبي
لا بدَّ في نهاية المطافِ أن تكتشفي
أنكِ تمشينَ على دربي !
إنَّ الدروبَ كلّها
تُفضي الى قلبي !
*****
سيدةِ النساءِ يا مسرفةَ الرعبِ
لا تَذْعَري إذا سمعتِ مرَّةً
بعد انتصافِ الليلِ صوتاً
يُشبهُ النقرَ على الشباكِ
أو هَسْهَسْةَ العُشبِ (*)
لا تذعري
يحدثُ أحياناً إذا حاصرني الوجدُ
وألقى جمرةَ السُهادِ في هُدْبي
يهمسُ لي قلبي:
قمْ بيْ لأطْمَئنَّ أن زهرةَ الريحانِ
في سريرها الرَحبِ
تغفو على وسادةٍ من أرَقي

قمْ بي !

*****

(*) الهسهسة: الصوت الخافت كصوت حركة الحلي وما شابه ذلك

أربعة أرغفة من تنور القلب

(الى الشاعرة الروائية الأسترالية إيفا ساليز الشاهرة سيف يراعها بوجه الظلم والضغينة ذودا عن المحبة وجمال الحق في كل مكان)

...

عاريةٌ إلا من الحبِ

ومن مَلاءَةِ اليقين

سَلّتْ على ليلِ الطواغيت

حسامَ صُبحِها

ذائدةً عن شرفِ الأنهارِ في عالمنا

وعن عفافِ الطين

باسم العصافير التي

أعلنتْ الحربَ على الصيّادِ

والسِكّينْ

*****

حين يكون الكأسُ فارغاً

وحين يفرغُ البستانُ من ظلالِهِ

وتفرغُ الساعةُ من قهقهةِ الثواني ...

وحين تخلو روضةُ السطورِ

من زنابقِ المعاني :

أملأُها بكوثر الأماني

وبالتسابيحِ التي

تفيضُ من قلبي على لساني

*****

بنيتُ في خيالي

مِئذنةًً

وملعباً طفلاً ..

وطرّزتُ الصحارى بالينابيعِ التي تجولُ

في غاباتِ برتقالِ ...

وعندما غفوتُ تحتَ شُرفةِ ابتهالي

شعرتُ أن خيمتي حديقةٌ

وأنني سحابةٌ

تزخُّ في بريّةِ الوحشةِ

أمطاراً من الظِلالِ

*****

رسمتُ بالإشارهْ

أُرجوحةً ...

نَسَجْتُ للكوّةِ في الجدارِ

من هُدبِ المُنى ستارهْ

وقبلَ أن أنامَ في كوخي على وسادةٍ حجارهْ

دوّنتُ في دفترِ عمري هذه العبارهْ :

كلُّ أمريءٍ

يمكنهُ أن يعقدَ الألفةَ

بين الماءِ والنار

وأن يصنعَ من دَيجورِهِ نهارَه

*****

رَأَيْتُ النَّخْلَ يَبْكِي

***

إلى الأخ الشاعر المبدع: عيسى جرابا

صدى لقصيدته (رجع عراقي).

سَمِيْرَ الشِّعْرِ عفْوَكَ يَا سَمِيْرُ *** عَصِيَّاتٌ عَلَى سُفُنِي البُحُورُ
أُحَشِّمُ أَحْرُفِي فَتَفِرُّ مِنِّي *** وَتَهْرُبُ مِنْ خُطَى قَلَمِي السُّطُوْرُ
تَوَسَّلْتُ القَرِيْحَةَ فَاسْتَهَانَتْ *** بِصَوْتِي وَاسْتَخَفَّ بِيَ السَّعِيْرُ
وَكُنْتُ إذَا أَشَرْتُ لَهَا أَتَتْنِي ***كَجَارِيَةٍ أَشَارَ لَهَا أَمِيْرُ
تَسِيْرُ كَمَا أَشَاءُ فَلا "طَوِيْلٌ" *** يُعَانِدُ إِنْ حَدَوْتُ وَلا "قَصِيْرُ"
لَهَا كِبرٌ فَمَا عَرَفَتْ "زِحَافاً" *** وَلا "خَبْناً" إِذَا طَالَ المَسِيْر"
يُنَادِمُ نارَهَا قلْبِي . . فَحِيْناً *** يُنِيْرُ بهَا . . وَحِيْناً يَسْتَنِيْرُ
هُمَا ضِدَّانِ لَكِنْ فِي وِفَاقٍ *** وِفَاقَ الجَمْرِ نَادَمَهُ البَخُوْرُ
سَمِيْرَ الشِّعْرِ عَفْوَكَ يَا سَمِيْرُ *** حُقُوْلُ قَرِيْحَتِي ظَمْيَاءُ بُوْرُ
فَطُوْلُ تَغَرُّبٍ عَنْ نَبْعِ "ضَادٍ" *** يَبُلُّ بِهِ حُشَاشَتَهُ الحَسِيْرُ"
أَضَرَّ بِجَرْسِ حُنْجُرَةٍ صَدُوْحٍ *** فَهَلْ لِيَبِيْسِ حُنْجُرَةٍ عَذِيْرُ؟
سَمِيْرَ الشِّعْرِ – لا زَعْماً – فُؤَادِي *** وَقَدْ خَضَّبْتَهُ حُبَّا شَكُوْرُ
نَسَجْتَ مِنَ الرَّفِيْفِ لَهُ وِشَاحاً *** حَوَاشِيْهِ الجَدَاوِلُ وَالزُّهُوْرُ
أَتَانِي وَالجَفَافُ يُشِلُّ عُشْبِي *** فَضَاحَكَنِي القُرُنْفُلُ وَالغَدِيْرُ
لَبِسْتُ وَكَانَ مِنْ حَسَكٍ قَمِيْصِي *** فَدَثَّرَنِي الزُّبُرْجُدُ وَالحَرِيْرُ
وَلَوْلا أَنَّ لِي وَطَناً سَجِيْناً *** يَدُوْرُ عَلَيْهِ حَوْلَ السُّوْرِ سُوْرُ
وَأَهْلاً لا يُسَامِرُهُمْ أَمَانٌ *** وَرَوْضاً لا يَمُرُّ بِهِ العَبِيْرُ
نَصَبْتُ عَلَى ضِفَافِ اللَّيْلِ تَخْتاً *** بِهِ يَنْسَى رَزَانَتَهُ الوَقُوْرُ
بَلَى ... لَطَمتْ حَنَاجِرَهَا الأَغَانِي *** وَشَقَّتْ زَيْقَ عِفَّتِهَا الخُدُوْرُ
وَسدَّتْ بَابَهَا خَجَلاً شُمُوْسٌ *** وَفَرَّتْ مِنْ هَوَادِجِهَا بُدُوْرُ
وَأَغْمَضَتِ الحُقُوْلُ العُشْبَ لَمَّا *** تَعَطَّلَ فِي اليَنَابِيْعِ الخَرِيْرُ
رَأَتْ وَطَناً يُسَاقُ إِلَى جَدِيْدٍ *** مِنَ البَلْوَى تُحِيْقُ بِهِ الشُّرُوْرُ
وَدِجْلَةَ – غَادَةَ الأَنْهَارِ– تُسْبَى *** يَعِيْثُ بِهَا الغُزَاةُ وَلا مُجِيْرُ
فَلَوْ أَنَّ النَّخِيْلَ – الشَّعْبَ – حُرٌّ *** طَلِيقُ السَّعْفِ لَمْ يَسْجُنْهُ جُوْرُ
لَمَا وَلَغَتْ بِدِجْلَتِهِ ذِئَابٌ *** وَلا رَاعَتْ عُيُوْنَ مَهَا جُسُوْرُ"
أَذَلَّهُمَا بِسَوْطِ القَهْرِ طَاغٍ *** خَلائِقُهُ الحَمَاقَةُ وَالغُرُوْرُ

وَجلاَّدُوْنَ لَمْ يَنْبِضْ بِعِرْقٍ *** لَهُمْ مَا طَالَتِ البَلْوَى شُعُوْرُ
"أشَاوِسُ" فِي الوَعِيْدِ وَيَوْمَ غَزْوٍ *** فَجِرْذَانٌ تَضِيْقُ بِهِمْ جُحُوْرُ"
تَنَمَّرَتِ الخِرَافُ عَلَى حَبِيْسٍ *** غَدَاةَ تَخَرَّفَتْ فِيْهِ النُّمُوْرُ"
وَمَا جَنَحَ الشِّرَاعُ بِنَا وَلَكِنْ *** رَبَابِنَةُ السَّفِيْنَةِ لا العَشِيْرُ
وَلا كَانَ الطَّرِيْقُ ضَرِيْرَ شَمْسٍ *** وَلَكِنَّ الدَّلِيْلَ هُوَ الضَّرِيْرُ
رَأَى تِبْراً فَأَغْمَضَ عَيْنَ عَقْلٍ *** وَ"كُرْسِيًّا" فَزَاغَ بِهِ الضَّمِيْرُ
عَلَى رِيْشٍ يَسِيْرُ وَكَانَ يَوْماً *** يَعِزُّ عَلَيْهِ فِي الكُوْخِ الحَصِيْرُ
كَفَرْتُ بِنِعْمَةِ التَّحْرِيْرِ يَأْتِي *** بِهَا وَحْشٌ وَمُرْتَزِقٌ أَجِيْرُ
إِذَا أُسِرَ الذِّمَارُ فَكُلُّ أُنْثَى *** بِهِ أَمَةٌ وَكُلُّ فَتَىً أَسِيْرُ
أَدُجِّنَتِ الكَرَامَةُ؟ أيُّ عِزٍّ *** لأَرْضِ النَّخْلِ يَحْكُمُهَا " سَفِيْرُ؟
مَشَيْنَاهَا "وَمَا كُتِبَتْ عَلَيْنَا" *** بَرِيْءٌ مِنْ تَخَاذُلِنَا القَدِيْرُ
وَلِي عُذْرِي إِذَا يَبِسَتْ حُرُوْفِي *** عَلَى شَفَتِي وَجَفَّ صَدَىً أَثِيْرُ
تَقَرَّحَتِ الرَّبَابَةُ ... وَالمَرَايَا *** مُقَرَّحَةٌ ... وَخُبْزِي وَالنَّمِيْرُ
أَيُغْوِي سَعْفُهُ المَحْرُوْقُ طَيْراً *** نَخِيْلٌ ؟ وَالعَصَافِيْرَ القُبُوْرُ؟
هَرَبْتُ إِلَيْهِ مِنِّي بَعْدَ عَشْرٍ *** وَنِصْفِ العَشْرِ فَارَقَهَا الحُبُوْرُ
رَأَيْتُ النَّخْلَ – مِثْلَ بَنِيْهِ – يَبْكِي *** فَيَمْسَحُ دَمْعَ سَعْفَتِهِ الهَجِيْرُ

جلالة الدولار

جلالة " الدولارْ "
حاكمُنا الجديدُ ...
ظلُّ اللهِ فوقَ الأرض ...
مبعوثُ إلهِ الحربِ والتحرير
والبناءِ والدَّمارْ !
له يُقامُ الذِكْرُ ...
تنحرُ القرابينُ ...

وتقرَعُ الطبولُ ...

ترْفعُ الأستارْ !

وباسمِهِ تكشفُ عن أسرارِها الأسرارْ

وباسمِهِ تمتلئ الحقولُ بالسنبل

أو يصادَرُ الرغيفُ

فهو صاحبُ العِزَّةِ في المدائن المذبوحةِ النهارْ

جلالة " الدولارْ "

منقذُنا ...

و المرشدُ الفقيهُ ...

يُفتي فيُطاعُ

لا كما كانت فتاوى السيد " الدينارْ " !

لِحْيَتهُ الخضراءُ صهوةُ المضاربينَ

في مصارف " الحوارْ "

فتسْتحيل جَنةُ اللهِ الى جهنم

و تستحيلُ النارْ

حديقةً قدسيَّةَ الأزهارْ

⋆

جلالة " الدولارْ "

في ساعة " الحسابِ " يبقى وحدَهُ

الصانعَ للقرارْ ...

" يجمعُ " من يشاءْ

" يقسم " مَنْ يشاءْ

" يطرح "

أو " يضربُ " ما يوصي به " الأحبارْ " !

ينوبُ عن فضيلةِ القاضي

و عن بنادق الثوّارْ

العارضين عُدَّةَ النضال للإيجارْ !

طلْعَتهُ ؟

تغوي على ذبح شقيق
و اجتياح جارْ ...
تسْتسْهَلُ الصعابُ دون وِدِهِ
و يكبرُ " الصغارْ "
تحت سنا بريقهِ المُعارْ

★

سماحة " الدولارْ "
صار إماماً ... إنما
يؤمُّ كل تابعي بريقِهِ
نحو الخنا و العارْ !
عدالة " الدولارْ "
تطالبُ المذبوحِ
أنْ يقدَّمَ الفِديةَ للجزّارْ

إغنميني

تَعافَيْتُ من داءِ يأسي ..
ومن ظَنِّ أمسي ..
فَجِئْتُ إليكِ أقودُ سفينةَ عمري
فلا تخسريني ..
أنا مُتْرَفٌ .. مُتْرَفٌ ... فاغنميني
وكوني ضفاف اليقينْ
أنا أول الحالمينْ
بكوخٍ على هُدْبِ نَبْعٍ تَوَسَّطَ بُستانَ تينْ
فلا تخسريني ..
سأُهديكِ ثوباً من الوردِ

فَيْئاً نَدِيّاً كجفنٍ تَنَدّى بدمعِ الحنينْ
وأسقيكِ راحاً من النبعِ في كوزِ طينْ
وخبزاً نَقِيّاً كماءِ الجبينْ
سأُمطِرُ بَرْدَكِ دفئاً
وَصَيْفَكِ بَرْدا ...
أجود إذا –أصْحَرَ الشوقُ– وَجْدا
فماذا تُريدينَ أكثَرَ من أنْ
أصوغَ لك الوردَ عِقدا ؟
وأغسلَ باللثمِ جيداً وخدّا ؟
وماذا تريدينَ
أكثر من أنْ يكونَ الهوى الطائعَ المستبدا ؟
أنا آخرُ الفاتحينْ
حصاني حصيرٌ من الخوصِ
سيفي يراعٌ
وَدِرْعِيَ غصنٌ من الياسمينْ
فماذا تُريدينَ أكثرَ من أنْ تكوني المليكةَ
في واحةِ العاشقينْ ؟
جَواريكِ بَطٌّ ... وحُراسُكِ النخلُ والياسمينْ
وماذا تُريدينَ أكثرَ من أنْ
تسيلَ على قدميكِ الجداولْ
وتأكل من راحتيكِ البلابلْ ؟
أكثرَ من أنْ تنامي
يُغَ َطّيكِ عشبٌ
ويحرسُ عينيكِ صَبٌّ أمينْ
تَحطُّ على شَفَتيكِ الفراشاتُ ...
يغتاظُ ثغري ... فأضحكُ ...
أضحكُ من غَيْرَةِ المُسْتكينْ
فَتَسْتَيقظينْ

على كركراتِ فتاكِ الطليقِ السجينْ ؟
وماذا تُريدينَ أكثرَ من أكونَ
سفيرَ هواكِ لدى الأزمنهْ
أمَثّلُ طُهْرَكِ في حضرةِ المئذنهْ
وأنقل للسوسنَهْ
تفاصيلَ أشذائِكِ المُزْمِنَهْ ؟
وماذا تُريدينَ
أكثرَ من أكونَ صريعَ هواكِ
فأُورِثُ عينيكِ دمعي …
و أُورِثُ خَدَيكِ رَوْعي …
وأُورِثُ لَيلَكِ مفتاحَ بابِ الأَرَقْ …
وَصُبْحَكِ ما كان لي من قلقْ …
وأُورِثُ جيدَكِ ياقوتةَ الصبرِ
عندي من الصبرِ فيضٌ …
وكنزُ جنونٍ دفينْ
وأُورِثُ صدركِ همّاً كثيراً
لديَّ من الهمِّ ما سوف يكفيكِ عمراً طويلاً
ويُغْنيكِ عن أنْ تمدي يديكِ
لساعِة حزنٍ من العالمينْ
فماذا تُريدينَ
أكثرَ من أنْ تكوني
وريثةَ هذا الشقيّ الحزين ؟

في وطن النخيل

في وطنِ النخيلْ

النَّاسُ صنفانِ .. فأمّا قاتلٌ مُسْتَأْجَرٌ

أو

نازفٌ قتيلْ

***

في وطنِ النخيلْ

يحقُّ للقائدِ – باسم الأمنِ والسيادهْ

أَنْ يمنعَ العبادَهْ

إلاّ إذا تَعَهَّدَ "الإمامُ" أن يَخْتَتِمَ الصلاةَ

بالحديثِ عن مكارمِ "القيادةْ"

***

في وطنِ النخيلْ

يحقُّ للمحتلِ أنْ يُصادرَ الإرادهْ

ما دامَ أنَّ التابعَ الذليلْ

ينوبُ عن كل الملايين التي

تبحث عن خَلاصِها

من عَسَفِ الدخيلْ

***

في وطنِ النخيلْ

يحقُّ للخنزيرِ أنْ يحصدَ بالرصاصِ

عشبَ اللهِ في المحرابْ

يحقُّ للمدفع أنْ يطرقَ كلَّ بابْ

ما دام أَنَّ العصرَ عصرُ غابْ

ما دام أنَّ "صاحبَ السعادَهْ"

الناطقَ الرسميَّ باسم "مسلخ التحريرِ"

والقائمَ بالأعمالِ في "طاحونةِ الإباده"

يريد للقانتِ أنْ يستبدلَ:

الخنوعَ بالإباءِ

والمزمارَ بالشهادهْ !

وجدان

*** ***

ذُهِلَ البهاءُ ... فقال : ما أبهاكِ !
وَتَسَمَّرَتْ عينايَ فوقَ لُماكِ
خرساءُ تجهلُ ما تقولُ لِذُهْلِها
شفتي .. ولكنَّ العيونَ حواكي
فَهَمَسْتُ في سِرّي وقد بلغَ الزُّبى
عَطَشي لكأسٍ من رحيقِ نَداكِ
لا تَنْصبي شَركاً ...فإني قادمٌ
طوعاً أُبارِكُ في هواكِ هلاكي
أدريكِ آسرتي ...وأدري أنني
سأكونُ بين الناسِ رَجْعَ صداكِ
العشقُ أودى بالذين قلوبُهم
حَجَرٌ ... فكيفَ بخافقِ المتشاكي؟(١)
صامت عن النَظَرِ العيونُ وأَفْطَرَتْ
بجمالِ وجهِكِ فانْتهى إمساكي
فَشَرِبتُ أَعْذَبَ ما تمنى ظامئٌ:
نَغَمٌ تزخُّ لحونَه شفتاكِ
عَصَرَ القَرُنْفُلُ فوق ثَغْرِكِ دمعَهُ
واسْتأْثرا بجفونِهِ خَدّاكِ
وَتَعَرَّتِ الأقمارُ ضاحكةَ السنا
في مقلتيكِ ..فأنجمي عيناكِ
صلّى دمي شوقاً إليكِ وكَبَّرَتْ
روحٌ تَهَيَّمها نقيُّ هواكِ

قَبَّلْتُ كفك– لا الشفاهَ – فأَزْهَرَتْ
شفتي ..وسالَ العطرُ من أشواكي
خَضَّبْتِ بالحِنّاءِ صَخْرَ رجولتي
وَفَرَشْتِ صحرائي بعشبِ صِباكِ
أَحْبَبْتُ فيكِ نقائضي ..فأنا فتى
نَزِقٌ .. وأنتِ خُلاصَةُ النُسّاكِ
وَتُمَحِّصين الدربَ قبلَ وُلُوجِهِ
فكأنما القنديلُ ظِلُّ خُطاكِ
وأنا إذا صَهَلَتْ خيولُ عواطفي
بعْتُ السلامةَ واشتريتُ هلاكي
الحمدُ للرحمنِ زانَ بلطفهِ
قلبي فكان شغافُهُ مأواكِ
لولاكِ ما رقَصَتْ حروف قصائدي
طرباً .. ولا غَنّى دمي لولاكِ
ولما حرصْتُ على حثالةِ جدولي
لِيَزُفَّ هودجَ مائِهِ لرباكِ
شَمَّرْتُ عن قلبي لنافلةِ المنى
وَتَيَمَّمَتْ روحي بفوحِ شذاكِ
دَثَّرْت بالنبضِ الطهورِ شتاءَهُ
وأَضَأْتِ عتمةَ ليلهِ بسناكِ
أَرَفيقَةَ العُمْرينِ ما حال الفتى
في الغربتين لو استخارَ سواكِ؟
مَرَّتْ عليَ من الحسانِ قوافلٌ
أَوْقَفْتُ حول مدارِها أَفلاكي
لم يلقَ مثلَ رغيفِ وِدِّكِ في الهوى
وكماءِ نبعكِ في الهجيرِ فتاكِ
خَبَرَ الهوى قلبي فكنتِ صديقتي
ورفيقتي وحبيبتي وملاكي

سَنَدي وعُكّازي يداكِ ..فخيمتي

لولاكِ قد كانت بدونِ سَماكِ(٢)

علَّمْتني صَبْرَ الرِمالِ على اللظى

أَيُلامُ لو هتفَ الفؤادُ فداكِ؟

ما كان نهري يزدهي بنميرِهِ

لو لم تَصُنْهُ بطهرِها ضفتاكِ

وكفاكِ أني لا أُبادلُ كوثراً

بوحولِ دجلةَ والفراتِ ...كفاكِ

عَزِفَتْ عن الجاه الحرامِ ترفّعاً

نفسي .. وأَثراني نعيمُ تُقاكِ

و"جدان" ما عادَ النخيلُ تميمةً

لفتىً .... ولا عادَ العراقُ حِماكِ

بتنا – وربِ البيتِ – بين مُخاتلٍ

لصٍّ ... وغولٍ فاسقٍ أَفّاكِ

دائي عصيٌّ –كالعراقِ – شفاؤُهُ

فأنا الضحوكُ المستباحُ الباكي

الليلُ؟ بابي للصباحِ ...طرقْتُهُ ..

أمّا الجراحُ فإنها شُبّاكي

حاشا غصوني أنْ تخونَ جذورَها

ويخونَ نخلُكِ نهرَهُ ... حاشاكِ

---

(١)المتشاكي : من يشتكي الداء أو الوهن.

(٢)السماك : ما رفع به الشئ .. وهو من الخيمة: عمودها ترتكز عليه

نقوش على جذع نخلة (١)

*** ***

-١-

الكونُ مرآةُ ...

كلُّ النهايات بداياتٌ

إذَنْ ؟

كلُّ البداياتِ نهاياتُ ...

وتلك آياتُ

-٢-

ما قيمةُ التحرير

إنْ كان الذي هَبَّ إلى نجدتِنا

حرَّرنا

و اعتقل الوطن ؟

....

....

ما شَرَفُ اليدِ التي

تُبْعِدُ عن أعناقنا القيدَ

وعن محرابِنا الوثنْ

حين يكونُ الوطنُ الثمنْ ؟

-٣-

لا ماءَ في النهرِ ...

ولا أمانْ

في الدارِ ...

والبستانْ

مُكَبَّلُ الظلالِ والأغصانْ

....

....

جريمةُ المُثْلَةِ بالأوطانْ

ليستْ أَقَلَّ في كتابِ اللهِ

من جريمةُ المُثْلَةِ بالإنسانْ

******

-٤-

تَعَفرَّتْ بِذُلِّها الجباهْ ...

فطاعنٌ يبحث عن دوائهِ

وجائعٌ يبحث عن طعامهِ

وخائفٌ يبحث عن مأواهْ

وعاشقٌ يبحثُ في "مستودعاتِ الذبحِ"

عن "ليلاه"

في الوطنِ المحكومِ بالمأساهْ

متى تزول ال "آهْ"

والدمُ في مدينتي

يمتدُّ من بستاننا

حتى بيوتِ اللهْ ؟

-٥-

أَتَسْتَحقُّ هذه الحياةُ أنْ يعيشَها الإنسانْ

مِسْخاً ...

ذليلاً ...

خائفاً مهانْ ؟

....

....

في حفرةٍ ضَيِّقَةٍ يأْنَفُها الحيوانْ

مختبئاً كانَ ...

وكان الموتُ والنيرانْ

يحتطبانِ الناسَ والبستانْ

....

....

ليس شجاعاً لِيَقُرَّ أنه جبانْ

******

وراءَ كلِّ مستبدٍ :

نخبةٌ تعملُ في صناعةِ الألقابْ ...

وزمرةٌ من المُصَفّقين لا تتعبُ من نفاقِها

وَثُلَّةٌ من أدعياءِ الفكرِ

تَسْتَرْزِقُ من أقلامِها

تُجيد فَنَّ "المدحِ والرَّدحِ"

أو الرقصَ على وَقْعِ رنينِ التِبْرِ

في الولائم "المدفوعةِ الحسابْ" ...

وجحفلٌ من أشرسِ الذئابْ ...

وفيلقٌ من الذبابِ البشريّ

ينشر الطنينَ في المدينةِ الخرابْ

يُبَشّرُ الخانعَ بالثوابْ

ويوعِدُ الثائرَ بالعقابْ

....

....

وراءَ كلِّ مستبدٍ ظالمٍ

يدٌ خفيَّةٌ تُديرُ اللعبةَ اللغزَ ...

يدٌ تقفلُ

أو

تفتحُ قفلَ البابْ

(٦)

يا زمنَ الخوذةِ والدفنِ الجماعيّ

وقانونِ وحوش الغابْ

متى ...

متى يخترعون طلقةً

تُمَيّزُ الطفلَ عن الجنديِّ

أو قذيفةً

تُمَيِّزُ الحانةَ والمبغى عن المحرابْ ؟

و "شنطةَ" التلميذِ

عن حقيبة الإرهابْ

متى ...

متى يغادر الأغرابْ

بستاننا

فيستعيدُ النخلُ كبرياءَهُ

ويستعيدُ طهرَهُ الترابْ ؟

******

(٧)

طفلٌ بلا ساقينِ ...

وطفلةٌ مشطورةٌ نصفينْ ...

وطاعنٌ دونَ يدٍ ...

وامرأةٌ مقطوعة النهدينْ ...

وكوَّةٌ في قُبّةِ "الحسينْ" ...

جميعها :

حصادُ طلقتينِ من دبّابةٍ

مرَّتْ ب "كربلاءْ"

تحيّةً ليوم "عاشوراءْ"

******

(٨)

السُرفاتُ دكّتِ القبورَ

واستباحتِ الرُفاتْ ...

أضاقتِ الأرضُ فلم تجدْ لها مسارباً ؟

أم أنها

تخافُ أنْ ينتفضَ الأمواتْ

تضامناً مع الجماهير التي ترفض

أنْ تُهادن الغزاةْ

-٩-

النبضُ في أغصانِنا

والموتُ في الجذورْ ...

كأننا الناعورْ :

ندورُ حول نفسنا ...

وحولنا يدورْ

بسوطِهِ المحتلُّ ... والقاتلُ ... والمأجورْ !

كأننا التنّورْ :

نقنَعُ بالرمادِ من وجاقِنا

وخبزنا ؟

بأكله المحتلُّ ... والقاتلُ ... والمأجورْ

******

-١٠-

ذكيةٌ قنابلُ التحريرِ

لا تصيبُ إلا الهدفَ المرسومَ

من قبل ابتداءِ نزهةِ القتالْ ...

ذكيةٌ

تُمَيِّزُ الوحلَ من الزُلالْ

ونغمةَ القيثارِ من حشرجةِ السُعالْ

ذكيةٌ ... ذكيةٌ

لا تُخطيءُ الشيوخَ والنساءَ والأطفالْ

ولا بيوتَ الطينِ ... لا أماكنَ الصلاةِ

أو

مشاغل العمّالْ

******

-١١-

أخطرُ ما يُهَدِّدُ الأوطانْ :

القادةُ الإماءُ

والحاشيةُ الغلمانْ

وفاتحو الأبواب نصفَ الليلِ

للدخيلِ ... والمنبوذِ ... والجبانْ

....

....

اخطرُ ما يُهَدِّدُ الإنسانْ

عمامةٌ

تكتب فَتواها على مائدةِ السلطان !

تُجيزُ للرعيَّةِ الجوعَ

وللخليفةِ التُخْمَةَ ...

أو

تُفَسِّرُ القرآنْ

على مزاجِ صاحبِ الخراجِ في "الديوانْ"

-١٢-

خُرافَهْ

كلُّ الذي أدلى به الناطقُ باسم القصرِ

عن تسابق الجموعِ في "الكرخِ" وفي "الرصافَهْ"

للرقصِ في مأدبةِ اللئامِ

تعبيراً عن الضيافهْ ...

....

....

خُرافةٌ أنْ تصبحَ المسافَهْ

بينَ العراقيِّ وبين القاتل المحتلِّ

بين الجرحِ والسكينِ "دولارٌ" من الفضّةِ

أو كأسٌ من السلافَهْ

خُرافةٌ

أن يعرفَ الحريةُ العبدَ الذي

يركع للمحتلِّ كي يدخله منتجعَ الخلافَهْ

******

-١٣-

كان يشدُّ الليلَ بالنهارْ
مُنَقِباً في مدنِ الريبةِ عن ياقوتةِ الحكمةِ
تستفزُّهُ الريحُ فيستهزيءُ بالإعصارْ
وبالمماليكِ الذين بايعوا التتارْ
يحملُ في فؤادِهِ اللهَ
وفي مقلتهِ السنبلَ والأزهارْ ...
يُبَشِّر التنّورَ بالدخانِ
والصحراءَ بالعشبِ وبالأمطارْ ...
والطفلَ بالدُمْيَةِ ...
والظلمةَ بالأنوارْ ...
لكنما "الأغرابُ" باغتوه في المحرابْ
يقرأ في الكتابْ :
"وفضَّلَ اللهُ المجا ..." *
وقبل أنْ يُكملَ
كرَّ البشرُ الذئابْ
عليه بالرصاص والحِرابْ
بتهمة الإرهابْ !

******

* من سورة النساء.

صوتك مزماري

دجَّنَ أفعى الحزنِ في حديقتي
فأغتسلتْ بالعطرِ أزهاري . .

صوتُكِ يا أنيستي
حَبْلٌ من النور
نشرت فوقه قميصَ أسراري . . .
وصفحةٌ ضوئيةٌ
كتبتُ في سطورها أَعَفَّ أشعاري . . .
وبُرْدَةٌ عشبيةٌ
تَدَثَّر القلبُ بها
فلم يَعُدْ يخافُ من بردٍ وإعصارِ . .
صوتُك صار ملمحاً مني
فما سمعتُهُ
إلا وأضْحَتْ غيمةً من ألقٍ داري
يُثْملني من دونما خطيئةٍ
فيسكرُ الصحو على نافذتي
يزرعني ترتيلةً في حقلِ قيثاري . . .
صوتك كان أوَّلَ الماشينَ
في جنازة اليأسِ الذي
أَثْكلَ مشواري . . .
وأوّلُ المسافرين بيْ إلى
ممالكِ الريحانِ والغارِ. . .
هَذَّبَني . . .
أقامَ جِسرَ أُلفةٍ بين فراشاتي
وبين الريحِ والنارِ . . .
زُخّي على مسامعي لحونك العذراءَ
كي تنبضَ أوتاري . . .
عشرةُ أعوامٍ
وما زلتُ على بابِ هواكِ صائماً
متى إذن موعدُ إفطاري؟
عشرةُ أعوامٍ

وما زلتُ على تلَّةِ عمري ساهراً

مرتقباً

هلال وجهِكِ الذي لوَّنَ أفكاري . . .

بالماءِ والنارِ . .

عشرةُ أعوامٍ

وما مرَّ على بَريَّتي موسمُ أمطارِ . .

وها أنا

أحفر بالأضلاع وادي الشوقِ

علَّ صخرةً تزفُّ ليْ

بشارة النبعِ لأشجاري

في آخر العمر

***

في آخر العمرِ

اكتشفتُ أنني غَريرُ...

وأنني

يمكنني المسيرَ وسطَ النار

دون أن يطالَ بُردَتي السعيرُ...

في آخر العمر اكتشفتُ

أنني الزاهدُ..

والمسرفُ ...

والصعلوكُ ...

والأميرُ..

وأنني الحكيمُ.. والمجنونُ

واكتشفتُ أنَّ زورقي

أكبر من أنْ
تستطيعَ حملَهُ البحورُ...
وأنني يمكنُ أن تطيرَ بيْ وسادتي
الى فضاءٍ خارجِ الفضاءِ..
أن يرحل بي السريرُ
نحو حقولٍ
طينُها الياقوتُ والمرجانُ والحريرُ ..
وأنني نهرٌ خُرافيٌّ
إذا مرَّ على القفار قامت واحةٌ
وأعشبتْ صخورُ..
وأنني عصفورُ
فضاؤهُ قصيدةٌ مطلعُها عيناكِ
واكتشفتُ أنني بلا حبّكِ يا حبيبتي
فقيرُ..
في آخر العمر اكتشفتُ
أنَّ كلَّ وردةٍ حديقةٌ كاملةٌ
وكل كوخٍ وطنٌ
وتحتَ كلِّ صخرةٍ غديرُ ...
والناسَ –كلَّ الناسِ– ما دمتِ معي
عشيرُ..
في آخرِ العمرِ اكتشفتُ
أنَّ قلباً دونما حبيبةٍ
مبخرةٌ ليسَ بها بخورُ ...
في آخر العمر اكتشفتُ
أنَّ لي طفولة ضائعةٌ
جاءَ بها حبُّكِ
فاستعدْتُ ما أضاعهُ المنفى
وما خبّأهُ عن زمني الدَّيجورُ...

في آخر العمر اكتشفتُ
أنني سادِنُكِ الناسكُ .. والخفيرُ...
أركض في روضِكِ
أصطادُ الفراشاتِ التي
أثملها في ثَغركِ العبيرُ..
أحرس يا حبيبتي حمامتي صدركِ
حين تقربُ الصقورُ ...
في آخر العمر اكتشفتُ
أنني طفلُكِ يا سيدتي الطفلةُ
طفلٌ عاشقٌ ..
دميتُهُ ربابةٌ ..
ملعبُهُ الحصيرُ..
فلا تلومي الطفلَ
حين يستفزُّ شَوكَهُ الحريرُ

مناشير ليست سرية
***

-١-
سيكتب التاريخ
أَنَّ جَنَّة أرضيّة
مياهُها محبَّة
وَطيْنُها ياقوت
تَفَرَّدَت بين حسان جيلِها ...
فَمَرَّة يدعونها "بيروْت" ...
ومرة يدعونَها
سيدة الجمال والدهشة

"عشتروْت"

صَبَّ عليها حقدَه الطاغوت

فأضرم النيران في حقولِها

دك على أطفالِها البيوت

صَيَّرَ من جبالِها شاهدة

ومن قُراها كفنا

وسَهْلِها تابوت

وكلما أَوْغَلَ في قسوتِهِ

تنهضُ كالعنقاءِ من رمادِها

يموت غازيها

ولا تموت

–٢–

شكراً لجندِ اللهْ

شكراً لمن أعاد للأرزِ كبرياءَهْ

والشمسَ للصباحِ

والنجومَ للمساء

والضحكةَ للشفاهْ

شكراً لِمَنْ أزال عن وجوهِنا

الذل الذي

قد كان مثل الوشم في الجباه

شكراً لمن أكمل في جهادِهِ

فريضةَ الصلاةْ

شكراً

لحزب اللهْ

–٣–

مولايَ ربَّ الجُنْدِ

في مدينتي المذبوحة الوديانِ

والسهوبِ

الغرباءُ اقتحموا خِدْري ...

استباحوا جسدي ...

وأطلقوا النارَ على حبيبي

مولايَ ربَّ الجُنْدِ

هل أَ َغَشْتَني

لِمَنْ إذّنْ جيوشُكُمْ

إنْ لم تَذُدْ في الموقفِ العصيبِ ؟

....

....

....

يا أَمَةَ اللهِ احذري

جيوشُنا واجبُها

حراسةُ الكرسيِّ من معاولِ الشعوبِ

القتلى لا يحييهم الاعتذار

*** ***

فيمَ اعتذارُك ؟ ما أبقيْت لِيْ مُتَعا *** تغْوي العيونَ بنجم ضاحك سَطعا

هبي المسرّةُ عادتْ .. وانتهى زَعَل *** وأشمستْ ظلمة ٌ.. والودُّ قد رجعا

فهلْ يعيدُ لمذبوح صدى أسَفٍ *** نبضاً ويُعْشِبُ صخرا مائج خدعا ؟ (١)

أتيْتُ حقلك ... أستجدي خمائله *** بعضا من الظل لا الأعناب فامتنعا

دخلته وأنا نهران من فرح *** تَماهيا في فؤاد أدْمَنَ الوَرَعا

حتى إذا خذَلَ الإعصارُ أشرعتي *** وفزّ نزْف غفا بالأمسِ وانقطعا

رجعْتُ أحمل جثماني ... يُشيّعُني *** جفنٌ إذا ذكروا أهلَ الهوى دَمَعا

مُقرّحُ الهدب لا من جمر أدمُعِهِ *** ولا السّهاد ... ولكنّ الذي سمعا..؟

وكان يمكنهُ لولا خلائقهُ *** قطفَ الزهورِ ورشفَ الشهدِ لو طمعا

كبَتْ على شفتي مذبوحة لغتي *** وأجْهشتْ ضحكة تسْتعْطفُ الهلعا
هدمْت كعبة أحلامي ولا سببٌ *** إلا لأنّ فؤادي عندها خشعا
طعنْت بدءَ هيامي طفل عاطفتي *** لا توقظي جرحَهُ الغافي فقد هجعا
تركِتِني في دروب العشق أغنيةً *** شهيدة وهزاري بعد ما يفعا (٢)
مُخضّبٌ بالأسى ما إنْ يُضاحكهُ *** حقل المسرّة حتى يصطلي وَجَعا
سلي ثراك أمثلي نازفٌ مطرا ؟ *** وناهديك أمثلي مبسم رضعا ؟
ومقلتيك أكحْل زانَ هدبَهما *** كما فمي؟ وكصدري كان مُنتجعا ؟
وساحليكِ ... أمثلي مَرْفأ رَفه (٣) *** إذا تمرّدَ موج الشوق واندفعا ؟
أطالبٌ إثرَ وحشيّ العذاب ردىً *** فجئتَ تطلبُ بعد الودّ مصطرعا ؟
أجلْ سعيتُ إلى حتفي ولا عجبٌ *** فابنُ الملوّح قبلي و"الطريدُ" سعى (٤)
لثمتُ من شغفي جرحي لأنّ بهِ *** من ورد كفكِ دفئا في دمي ضَوَعا (٥)
وما أسفتُ على نزفي ووأد غدي *** ولا على كبرياء المطمح افتُرِعا (٦)
لكنْ على نُصْح صدّيقٍ رأى شططا *** فما أصَخت لقول يأمنُ الفَزَعا (٧)
خدعتني؟ لا وربي .. خادعي حلمٌ *** مُضبّبٌ لامَسَتْه الشمسُ فانقشعا
نصحْته لا تبُحْ وجدا لفاتنة *** قلبي.. فكنت لهيبي والوقود معا
تمخّضتْ عن بكاء ضحكة وغدتْ *** رزيئة نشوة قدْ أمطرتْ مُتَعا
حجبت شمسكِ عني حين حاصرني *** بردٌ وأطبقَ درب كان مُتّسِعا
ضحيّة أنت ! إلأ أنّ قاتلها *** غرورُها ... وأخو الدنيا بما طُبِعا
فجهّزي للهوى غُسْلا ومرثيةً (٨) *** أمّا أنا ؟ فضياعي جهّزَ الجزعا

---

(١)مائج خادع : السراب
(٢) يفع : اصبح يافعا
(٣) رفه : لان عيشه وطاب
(٤) ابن الملوح قيس العامري والطريد هو توبة الحميري عاشق ليلى الاخيلية
(٥) ضوع : فاح وانتشر عطره
(٦) افترع : أهين
(٧) الشطط : مجانبة الصواب
(٨) الغسل : ماء تغسيل الميت

ما عدتِ سرا

*** ***

ما عُدْتِ سراً ... كلهم عرفوكِ
واكتشفوا التي شدَّتْ الى جسدِ الغريقِ
صخرَ الهوى
في موجِ مُزْبِدِكِ العميقِ
فدعي احترازِكِ من رعودِ صبابتي
ومن احتمالِ تمددِ النيرانِ ينشرُها حريقي
فلقدْ خُلقتُ سحابةً
حبلى بأمطار البروقِ
ما عدتِ سراً ... فاستفيقي ..
هم يبصرونَكِ في عيوني غيمةً خضراءَ..
في شفتيَّ قافيةً ...
ونبضاً في عروقي !
هم يسمعونَكِ في صدى صمتي ذهولاً..
واصطخاباً تحت موجِ سَكينتي ..
وهديلَ فاختةٍ على شَجَري ..
وشمساً في طريقي !
ويرونَ أنكِ آخر الأخبارِ
في كتبِ الهوى...
وأنا؟
اراني فيكِ زنبقةً مُقيّدةَ الرحيقِ !
وقصيدةً مذبوحةً
نَزَفَتْ بخورَ العشق

في أجواءِ مكتبكِ الأنيق ..
وربابةٌ خرساءَ – للذكرى– مُحنّطةَ الرنينِ
وقصَّةً شرقيّةً
عن آخر العشاق في عصرِ الرقيق !
ما عدت سراً ..
أنهم يتساءلون الآن عن سرِّ المشوق
*****
من حقِ شمسِكِ أنْ تُبكّرَ بالغروبِ
وأن تماطلَ بالشروق ..
من حقّ صدركِ أن يُصعّرَ دفئَهُ
إن جئتُ ألتمسَ الملاذَ
إذا عوى ذئبُ الشتاءِ
مُكشّراً عن بردِهِ
فأتيتُ مرتجفَ العروقِ..
من حق وردكِ
أن يسدَّ أمام نحلِِ فمي
شبابيكَ الرحيقِ ..
من حقِّ نهركِ أن يمُرَّ
بغير بستاني ...
وحقكِ أن تصدي عن حرير الخصرِ
شوكَ يدي ...
وعن ياقوتِ جيدكِ
طينَ عاطفتي ..
وعن فمِكِ الوريقِِ
جمري .... ولكنْ
ما حقوقي ؟

لا تسأليه الصبر

*** ***

لا تسأ ليهِ الصَبْرَ لو جزعا *** مما رأى... بغدادُ... أو سَمَعا
فَرْ دٌ ولكن بين أَضْلُعِهِ *** وطنٌ وشعبٌ يخفقانِ معا
صادٍ يُبَلِّلُ باللظى شفةً *** وَيَصدُّ عن مُسْتَعْذَ بٍ نَبَعا
أَنِفَ انتها لَ الراحِ لا بَطَراً *** أو خَوْفَ مُلْتَصِّ ولا وَرَعا(١)
لكنه طَبْعٌ تَلَبَّسهُ *** والمرءُ في حَاليْهِ ما طُبِعا (٢)
وبِهِ حَياءٌ من مروء تِهِ *** لو راوَدَتَهُ النفسُ فاتَّبَعا
فَرَ شَتْ له الأوهامُ أَبْسِطَةً *** واسْتَنْبَتَتْ صحراءَهُ فَرَ عى
صاحٍ ولكنْ صحوَ مَخْتَبِلٍ *** لا فَرْقَ إنْ أَسرى وإنْ هَجَعا
غا فٍ يُدَ ثِّرُهُ حريرُ مُنىً *** فتوهّم التابوت منتجعا
وَسِعَتْ أمانيهِ الخيا لَ فما *** أَبْقَتْ له الأحلامُ مُتَسَعا
مَلَكَتْ فؤاداً منه آسِرَةٌ *** فَسَعَتْ إليهِ بِقَيْدِها... وَسَعى
شاخَ المشوق بِغُرْ بَتَيْهِ وإذْ *** جَلَسا لمائدةِ الهوى يَفعا(٣)
عِقْدانِ إلاّ بضعةٌ وهُما *** يَتَرَقّبانِ الوصلَ... واجْتَمَعا
خَلَعَتْ عليه لذائذاً فأبى *** غيرَ العَفا فِ لِحُبّهِ خُلَعا(٤)
صاغَتْ له من طينِها رئةً *** ولها أقامَ القلبَ مُرْتَبَعا
وَتَراقَصَتْ أعشا بُ مقلتِهِ *** فَرَحاً بنجمِ مَسَرَّةٍ سَطَعا
فَتَناجَيا لحناً وقافيةً *** وَتَصاهَرا نَبْضاً وَمُصْطَرَعا
وَتَعاتَبا كلٌّ يرى سَبَباً *** لِيُريقَ كأساً بَعْدُ ما تُرِعا
طَمَعَتْ بِصَمْتٍ من يَراعَتِهِ *** وبصرخةٍ من صَخْرِها طَمَعا
فَتَشاجرا:دَوْحاً وفاخِتَةً *** وَتخاصَما:ثَدْياً وَمُرْتَضِعا
كَظَما على غَيْظَيْهما فَوَشى *** بهما اخْتِلاجُ الجفنِ إذْ دَمَعا
حَيْرانُ بين اثنينِ خَيرُهُما *** شَرٌّ يُحيقُ بِهِ إذا قَنَعا
فا ذا اقام فقهر مغتصب *** وسيستبيه الشوق لو ر جعا

خَبَرَ العذابَ جميعَهُ فرأى *** أنّ الأَشَدَّ: مكابرٌ خَنَعا
غَضَّ الفؤادُ النَبْضَ عن تَرَفٍ *** مُسْتَعْبِدٍ فاخْتارَ أنْ يَدَعا
لا تَسْأَليه الصَبر لو جَزَعا *** ما دام فأْس الذُلِّ قد وَ قَعا
زارَ الديارَ ضُحىً فأَرْعَبَهُ *** أنَّ الفرات وَنَخلَهُ افْتُرِعا (٥)
فَرَكَتْ أصابعُ صَحْوِهِ مُقَلا *** سكرَتْ بخمرِ الحلمِ فانْفَجَعا
ألفى الأَحِبَّةَ بعد عود تِهِ *** رِمَماً وَرِفْقَةَ أَمْسِهِ شِيَعا
عاش المواجِعَ منذُ فارَقَهُمْ *** وازْدادَ بعدَ لقائِهِمْ وَجَعا
غَفَلوا فَعاجَلَهُمْ بفاجِعَةٍ *** مُتَرَبّصٌ لم يَدَّخِرْ خُدَعا
شَبِعَ الردى والقَهْرُ من دمهم *** و((مُحَرري)) المزعومُ ما شَبِعا
أَسَفي على بغدادَ... كيف غَدَتْ *** سوقاً وأَنْجمُ مجدِها سِلَعا ؟
قد كان يربِطُني بَهَوْدَجِها *** خَيْطٌ من الآما لِ... وانْقَطَعا
الجسرُ؟ تَجْفوهُ المَها... وإذا *** قَرُبَتْ تَشَظّى وَجْهُها فَزَعا (٦)
أما ((الرّصافةُ)) فالجلوسُ الى *** شطآنِها يَسْتَنْفِرُ الهَلَعا
خرساء تَسْتَجدي الخُطى صِلَةً *** والسامرينَ الشعرَ والسَجَعا
ودخانَ((مسقوفٍ)) بَمُغْتَبَقٍ *** وغناءَ صَبَّ مُدْنَفٍ ضَرَعا (٧)
وَدَّعْتها قَسْراً فَوَدَّعَني *** قلبٌ أبى من بَعْدِها مُتَعا
حذَّرتُها مني.. وَحَذَّرَني *** منها هيامٌ من دمي رَضَعا
لكنها تبقى رفيفَ دمي *** إنَّ الهوى أَبْقاهُ ما صَرَعا

---

(١) ملتص : مسترق السمع او النظر

(٢) حاليه : حال السراء وحال الضراء...اليسر والعسر ...

(٣) يفع : صار يافعا

(٤) الخلع : المال ، الهدايا ، الهبات

(٥) افترع : أُهين

(٦) اشارة الى بيت الشاعر علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسرِ

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(٧) ضرع : توسل واستعطف

و((المسقوف)) هو السمك المسقوف ، الأكلة الأكثر شعبية وشهرة في ليالي شواطئ دجلة ببغداد

سادن الوجع الجليل

*** ***

عاتَبْتُ – لو سمعَ القريبُ عتابي . . *** وكتبتُ – لو قرأ البعيدُ كتابي !
وسألتُ – لو أنَّ الذين مَحَضْتُهُم *** وِدّي أضاؤوا حيرتي بجوابِ !
وَعَصَرْتُ ماءَ العينِ لو أنَّ الأسى *** أبقى بحقلِ العمرِ عُشْبَ شبابِ
وَأنَبْتُ عني لو يُنابُ أخو الهوى *** بسخينِ أحداقٍ ونزفِ إهابِ (١)
وَتَرَنَّمتْ لو لم تكن مشلولةً *** شفتي ... ومصلوبَ اللحونِ ربابي
كيف الغناءُ؟ حدائقي مذبوحةٌ *** أزهارُها ... ويبيسةٌ أعنابي
شجري بلا ظِلٍّ .. وكلُّ فصولهِ *** قيظٌ .. وظمآنُ الغيومِ سحابي
طَرَقَ الهوى قلبي .. وحين فَتَحْتُهُ *** ألقى به عصفاً وعودَ ثقابِ
حتى إذا كشَفَ الضحى عن شمسهِ *** ألفيتُني ميتاً بنبضِ ثيابِ
يتقاتل الضِدّان بين أضالعي : *** عَزْمُ اليقينِ وحيرةُ المرتابِ
صُبْحي بلا شمسٍ .. وأما أنجمي *** فَبَريقُ باروِدٍ وومضُ حرابِ
روحي تمصُّ لظى الهجيرِ وَتَسْتَقي *** شفتاي من دمعٍ ووهجِ سرابِ
أرفو بخيطِ الذكرياتِ حشاشةً *** خَرَمَتْ ملاءَتَها نِصالُ غيابِ
الدارُ بالأحبابِ .. ما أفياؤُها *** إنْ أَقْفَرَتْ داري من الأحباب؟
عابوا على قلبي قناعةَ نَبْضِهِ *** أنَّ الردى في العشقِ ليس بِعابِ
أنا سادنُ الوَجَعِ الجليلِ خَبَرْتُهُ *** طفلاً .. وها قارَبْتُ يومَ ذهابي

***

صوفيَّةَ النيرانِ لا تترفَّقي *** بيْ لو أتيتُكِ حاملاً أحطابي
قد جئتُ أستجدي لظاكِ .. لتحرقي *** ما أَبْقَتِ الأيامُ من أعشابي
أنا طِفْلُكِ الشيخُ ... ابتدأتُ كهولتي *** من قبلِ بدءِ طفولتي وشبابي

لَعِبَتْ بيَ الأيامُ حتى أَدْمَنَتْ *** وَجَعي .. وَخَرَّزَتِ العثارُ شِعابي
يحدو بقافلتي الضَيَاعُ كأنني *** للحزنِ راحٌ والهمومِ خوابي(٢)
إنْ تفتحي بابَ العتابِ فإنني *** أَغْلَقْتُ في وجهِ الملامةِ بابي
أهواكِ ؟ لا أدري .. أَضَعتُ بداهتي *** وأَضاعني في ليلهِ تِغْرابي
كلُّ الذي أدريهِ أني بَذْرَةٌ *** أمّا هواكِ فجدولي وتُرابي
نَزَقي عفيفٌ كالطفولةِ فاهدئي *** أنا طفلكِ المفطومُ .. لا ترتابي
الشيبُ ؟ ذا زَبَدُ السنين رمى به *** موجُ الحياةِ على فتىً متصابي
"ستٌ وخمسون" انتهين وليس من *** فرحٍ أُخيطُ به فتوقَ عذابي !
الدغل والزُقّومُ فوق موائدي *** والقيحُ والغِسلينُ في أكوابي(٣)
أحبيبةَ الوجعِ الجليل مصيبتي *** أن العراقَ اليومَ غابُ ذئابِ
لو كان يفتح للمشرّدِ بابَهُ *** لأتيتُهُ زحفاً على أهدابي
وطويتُ خيمةَ غربتي لو أنها *** عَرَفَتْ أماناً في العراق روابي
أوقفتُ ناعوري على بستانِهِ *** وعلى دجاهُ المستريب شهابي
***
عانَقْتُها فتوضّأتْ بزفيرِها *** روحي..وعطَّرني شميمُ خضابِ
كادت تَفِرُّ إلى زنابقِ خصرها *** شفتي فرارَ ظميئةٍ لشرابِ
سكرتْ يدي لمّا مَرَرْتُ براحتي *** ما بينَ موجِ جدائلٍ وقِبابِ
وحقولِ نعناعٍ تَفَتَّحَ وردها *** وسهول ريحان وطل حبابِ (٤)
لُذْنا بثوبِ الليلِ نَسْترُ شوقنا *** من عين مُلتصٍّ ومن مرتابِ (٥)
فشربتُ أعذبَ ما تمنّى ظامئٌ : *** شهدٌ غَسَلتُ بهِ مُضاغَ الصّابِ (٦)
يا أيها المجنونُ – صاحَتْ– دَعْكَ من *** تُفاحِ بُستاني وَزِقِّ رضابي
جَرَّحْتَ فستاني فكيف بزنبقي ؟ *** فَأَعِدْ عليَّ عباءتي وحِجابي
حتى إذا نَهَضَ المُكّبِرُ .....والدجى *** فَرَكَ العيونَ ولاحَ خيطُ شِهابِ
وتثاءَبَ القنديلُ ... وابتدأ السنا *** عريانَ مُلْتَفّاً بثوبِ ضَبابِ
صَلَّتْ وصلَّيتُ النوافلَ مثلَها *** وبسطتُ صَحْنَ الروحِ للوهّابِ
خوفي عليَّ – وقد تَلَبَّسَني الهوى– *** مني ...ومنكِ عليكِ يومَ حسابِ
إنْ كنتِ جاحدةً هوايَ فهاتِني *** قلبي وتِبْرَ عواطفي وصوابي
نَمْ يا طريدَ الجَّنتينِ معانقاً *** خالاً يشعُّ سناهُ بين هضابِ

عَرَفَتْكَ مخبولاً تُقايضُ بالندى *** جمراً وكهفَ فجيعةٍ برحابِ
اصحابَنا في دار دجلةَ عذرَكمْ *** إنْ غَرَّبَتْ قدماي يا أصحابي
جَفَّتْ ينابيعُ الوئامِ وأّصْحَرَتْ *** بدءَ الربيعِ حدائق اللبلابِ
أحبابَنا ...واسْتَوْحَشَتْ أجفانَها *** مُقَلي وشاكسَني طريقُ إيابي
أحبابَنا عَزَّ اللقاءُ وآذَنَتْ *** شمسي قُبيلَ شروقِها بغيابِ
أحبابَنا في الدجلتين تَعَطَّلَتْ *** أعيادُنا من بعدكم أحبابي
ندعو ونجهل أَنَّ جُلَّ دُعائِنا *** منذ احترفنا الحقدَ غيرُ مُجابِ
نَخَرَ الوباءُ الطائفيُّ عظامنا *** واسْتَفْحلَ الطاعونُ بالأربابِ
عشنا بديجورٍ فلما أَشْمَسَتْ ***كشفَ الضحى عن قاتلٍ ومرابي
ومُسَبِّحينَ تكاد حين دخولهم *** تشكو الإلهَ حجارةُ المحرابِ
ومُخَنَّثين يرون دكَّ مآذنٍ *** مجداً ... وأنَّ النصرَ حزُّ رقابِ
واللاعقين يد الدخيل تضرّعاً *** لنعيم كرسي بدار خراب ...
جيف وإنْ عافتْ عفونة لحمِها *** أضراسُ ذئبان وناب كلابِ ...
وطنَ الفجيعة والشقاء ألا كفى *** صبراً على الدُخلاءِ والأذنابِ

١الاهاب : الجلد لم يدبغ بعد
٢ الخوابي : دنان الخمر وما شابه ذلك
٣الغسلين : ما يسيل من أجسام أهل النار.
٤الطل : اللذيذ من الروائح والنعم.
٥الملتص : مسترق السمع
٦الحباب : بضم الحاء : الحب والود . وبفتح الحاء: ما يعلو الماء أو الخمر من فقاقيع.
الصاب : نبت شديد المرارة.

بَدَدٌ على بددِ

فتشتُ في قلبي فلم أَجِد

إلآك قنديلا يُضيءُ غدي
وفحصت ذاكرتي : أفاتنة
أخرى يُنادِمُ طيفَها خَلَدي ؟
ونخلتُ حنجرتي لعلّ بها
بعضَ الصدى من هندَ أو دَعَدِ
فوجدْتها تشدو لِيُثمِلها
ما فيكِ من طيبٍ .. ومن غَيَد (١)
ووجدْتني من دونها شفة
خرساءَ .. أو جفناً الى رَمَد !
فكأنما الأرحام قدْ عقُمت
من بعدِ مَنْ أهوى .. فلمْ تَلِد !
ما أنت ؟ قوليها علانية
هلآ أجَبْت سؤالَ مُفتأد ؟ (٣)
أنساك؟ حاشى!عهدَ مُحْتنِفٍ
أهواك ما عمّرتُ من أمَدِ (٣)
تبقينَ ما ظلّ الفؤادُ على
دين العظيم الواحد الأحدِ
جسدي؟ رميتُ به إلى جَدَث
يمشي معي.. لا تحذري جسدي
فأنا بخورُك يا مُبَشرة
بعَفاف مسنود إلى عَمَد
وأنا صداك كتمتُ حشرجتي
وغدوت رَجْعَ صُداحِكِ الغردِ
شُلتْ إذا مَدّت لفاتنة
أخرى مناديلَ الهيام يدي
وتهشمتْ مرآةُ مقلتِها
عيني إذا تُغْوى بِمنتهِد (٤)
ما حُجّتي يومَ الحساب إذا

شهَدَتْ علي بنكثِها عُهُدي ؟

أوَلسْتُ مَنْ أدّى يمينَ هدىً

جَهْرا وأشهَدَ عِزّةَ الصَمَد ؟

أنْ لا يُبايعَ غير مُفطِمهِ

وسرابِهِ وِرْدا لثغر صدي ؟

ولقد ظمِئتُ وكنتُ في غُدُر

فشربتُ نيراني ولم أرِدِ (٥)

قنَعتْ بصابك غيرَ آسفة

كأسي .. فيا صابَ الحبيب زِدِ (٦)

ورضيتُ من بحرٍ صبوتُ إلى

ياقوتِهِ بالرمل والزَبَد ..!

ما حيلتي ؟ فلقد خُلِقت إلى

سوط العذاب ومِدية النَكد ..!

للموحشات أكنتُ مُغترباً

دامي الخطى أو كنتُ في بلدي !

للموت يجفوني فأتبَعُه

أملا بعطفك يوم ملتَحَدي (٧)

أنا "قيسُكِ" المطرودُ خيمتهُ

بين الخيام يتيمةُ الوتَد !

***

يا حزنَ ماضي العمر يا أبتي

يا صبرَ باقي العمر يا ولدي

رِفقاً بعكازي .. فقد وهُنَتْ

ساقي .. وأحداقي بلا مَدَد

أسْرَفتَ في إذلالِه عَسَفاً

فارْفِقْ به يا حزنُ واقتَصِدِ

جِئني بها صَحْوا لِتوقِظَ بيْ

طفلَ المنى فيَشدّ من عَضُدي

عطفا عليّ ورحمة .. فلكمْ
نادى الرسيفُ وليس من أحد (٨)
يا مَنْ أسَرْتَ غدي أغِث أملي
إيّاكَ ترخي لحظة صَفَدي (٩)
سَيَضيعُ لو أطلقتَ مُختبِلا
طارتْ حمامتهُ ولم تَعُد
نثرَتْ عليه هديلها فغفا
طفلا تهدهِدُهُ يدُ الرّغدِ
ونأتْ.. فعاد نزيل وحشتِهِ
يمتارُ من جمر ومن كمَد (١٠)
يبُسَ الضياءُ على نوافذِه
أمّا ظلام دروبهِ ؟ فَنَدي !!
فاحكم عليه وِثاقهُ حَرَداً
لمزيد تِرحال بلا سَنَد (١١)
أنا أنتَ ، حَدِّق بيْ تجدْكَ على
شفتيَّ مكتوبا وفي كبَدي
أنا أنتَ.. فتّشني تجِدْ بدمي
ما فيكَ من جمر ومن بَرَدِ
تجد "الفراتَ" يسيلُ من مُقلي
دمعاً فأشربهُ على جَلدِ
تجِدِ الخرابَ "البابليّ" على
وجهي وذعرَالعاشقِ"الأكدي"
أنا "بابلٌ" وأنا حرائقها
ورمادُها .. وشريدُها الأبدي
و"السومريّ" الطفلُ أنسج من
عشبِ الضفاف وزهرها بُرَدي
وأنا "الرصافةُ"بات يُوحِشها
جسرُ الهوى حيث الزمانُ رَدِي

وأنا "السماوة"حيث نخلتها
سعفٌ وعِذقٌ غيرُ مُنتضِدِ (١٢)
والمستجيرُ ببئر غربتِه
هلا مددت إليه من مَسَدِ(١٣)
إنْ قد عُدِمتِ الحبل ينقذهُ
مدّي له طوقا من الرَشد
هل تسألين الان كيف أنا؟
أنا في الهوى : بدَدٌ على بدَد

---

(١)الغَيَد : اسم بمعنى الغنج والرقة
(٢) المفتأد : المصاب بفؤاده
(٣)المحتنف : الصحيح اسلامه
(٤) المنتهد : الالمنتصب النهد
(٥)غدر : جمع غدير . لم أرد : لم أشرب
(٦)الصاب : العلقم
(٧) يوم الملتحد : يوم الفن في لحد
(٨)السيف : السجين المقيد
(٩) الصفد : القيد
(١٠)يمتار : يتزود
(١١) الحرد : المنع
(١٢) تضمين للأغنية الشعبية العراقية :
نخل السماوة يكول طرتني سمره
سعف وكرب ظليت ما بيّ تمره
(١٣)عذق غير منتضد : يخلو من نضيد التمر
(١٤) المسد : الحبل القوي المفتول من الليف او القنب

مهاتفة من امرأة مجهولة

*** ***

مَنْ أنتِ يا مَجْهولة المطر *** زَخّتْ فأزْهَرَ ماؤها شجري ؟
أيْقظت قنديلا وقافية *** وأضأت كهفَ مشرّدٍ حَصِرِ(١)
أيكون طيفا ؟ أيّ زائرة *** من قبل هذا الليل لم تزُر ؟
أمْ تلك يقظة عاشق تعِبَتْ *** أجفانه من مِرْوَدِ الضجَر ؟(٢)
قد كان أيقظ بين أضلعِهِ *** وطناً وداعب هودج السَفَرِ
يستعطِفُ الماضي لعلّ رؤىً *** خضراءَ تُعْشِبُ جثة الحَجَر
وأطالَ تحديقا بنافِذة *** شلّتْ سِتارَتَها يدُ القدَرِ
وأنا وأوراقي : يُحاصِرُنا *** ليلٌ عقيمُ النجم والقمَر
مُتلازمان رؤىً فما افترقا *** إلآ ليلتقيا على كِبَر
ورثا عن "الضليل " محبرةً (٣) *** ومكارمَ الأخلاق عن "مُضَرِ"
واسْتنطقا شفة الهوى لغة *** تشدو بحبّ البدو والحَضَرِ
مَنْ أنت ؟قد أتعَبْت ذاكرتي *** لا تحرميني نشوة الخدَر
طحنتْ رُحى الأيامِ أشرعتي *** مدّي حبالَ يد لمُحتَضر
إنْ تسْتري الأزهارَ عن مُقلي *** فعبيرُ زهرِك غيرُ مُستَتر

***

أخطأتُ قالتْ رقمَ منزِلنا *** عفوا .... تقبلْ عُذرَ مُعْتَذِر
فأجَبْتُها : لا.. لستِ مُخطِئة *** لا تُغلِقي الأبوابَ فانتظري
لكِ منزِلٌ عندي ومنزِلةٌ *** ونديمُ صوت ساحر عَطِر
فيمَ اعْتذارُك؟ واصلي نَغَماً *** ليطيبَ عند ضفافه سَهَري
منْ أنتَ؟قلتُ:صداكِ! فارتبكتْ *** قيثارةُ الأشذاءِ والخَفَر
قالتْ: أراكَ إذا رغبْتَ غدا *** في الطيفِ أو ترنيمة الوَتَر
نجمي بعيد .. فالتَمِسْ لهوى *** غيري..أخافُ عليكَ من خُسُرِ
فأجَبتُها والكأسُ يومئ ليْ *** شغفَا بكوثرِ نهرها الخَصِر (٤)
ماذا سأخسرُ؟قد أضعْتُ غدي *** ومشتْ بيَ الأحزان من صِغري
وخسرتُ بدءَ يفاعتي وطناً *** قدْ كنتُ فيه مُجَنحَ الفِكَر

وُشِمتْ بِسَعْفِ نخيلِه مُقلي *** ونقشتُ فوق جذوعِه أثري
إنْ كنتُ في العشاق مُبتَدَأ *** فهواه يا أختَ الهوى خَبَري
ويُقالُ إنّ مياه " ساوتِه "(٥) *** غسلتْ جبينَ الأرضِ من كدَر
حتى أتاهُ الغيُّ فانطفأتْ *** شمسُ الحبور وأنجمُ السَمَر
قُدّتْ به الأعيادُ من قِبَلٍ ***كيدا وخبزُ القوم من دُبُر
فِنجانه جرح ... وقهوتُه *** دمعٌ هتونٌ غيرُ مُنحدِر
أصحرْتُ حتى جفّ في شفتي *** صوتي .. فكوني شهقة المطر
صَدَقَ"البصيرُ" عسى مُحَدثتي *** تأتي ليصدقَ هاجسُ البصَرِ (٢)
الصّمْت كاد يُشِلّ حنجرتي *** لولا رنينٌ غيرُ مُنتَظر
ليكادُ يرقصُ هاتفي طرَباً *** بهديل صوتِك مطلعَ السَحَر
***
ضحِكتْ وفاض عبيرُها نغماً *** وتنهّدتْ لكنْ على حذر !
قالتْ : عرفتكَ.. فاستحيتُ وقدْ *** فضحَ الهوى سِرّي على كِبَر

---

(١) الحصر : الذي يشكو حبسة في الكلام .
(٢)المرود : ما يكحل به الجفن او العين
(٣) الضليل : امرؤ القيس
(٤) الخصر : البارد
(٥) ساوة : بحيرة في صحراء السماوة ورد في كتب الاقدمين
انها فاضت قبل الاف السنين فاغرقت الارض
(٦) البصير هو بشار بن برد .. اشارة الى قوله (والاذن تعشق قبل العين احيانا)

شبيه الياسمين يدا وخدا

طِماحي ؟ أنْ تماثلني الطِماحا *** فيغدو حبّنا للراح راحا
تضيء غدي بوجهكَ حين يرثي *** سُهادي عُشبَ عيني والصّباحا

وتفطمني من الأحزان ...إني *** رَضَعْتُ الدّمْعَ لا الماءَ القراحا
فلست بسائل إلآكَ جاها *** ولا بسواك أنتهِلُ ارتياحا
ولم أعرفْ لقافلتي غُدوّا *** إلى بستان غيركَ أو رُواحا
فهلْ من رادم للطيش بئرا *** سِواكَ إذا أردْت لي الصَلاحا ؟
إذا جئتُ النَجاحَ فأنتَ عزمي *** وشيطاني إذا جئت الجُناحا(١)
وحسبُكَ أنْ وجدتَ بيَ المعنّى *** وحسبي أنْ وجدتُ بك الفلاحا
تشدُّ حقولكَ الزهراءُ نبْعي *** لجدولِها وتحرِمُني الأقاحا
فيا مُتعَسِّفا حسناً وصدّا *** ترفّقْ بالأسير .. كفى اجْتِراحا
أتحْرِمُني رحيقَك ثمّ ترجو *** لقلبي من هواجسِهِ ارتياحا ؟
تعال فإنّ جمرَكَ خيرُ برْد *** لمُرتشِف ضرامَ هوىً صُراحا (٢)
تعال استرْ بقايا كبريائي *** فإني قد خشيت الإفتضاحا
تعال نُشيدُ من مرَح صروحاً *** فقد لا نستطيعُ غدا مَراحا
تعال نُخيطُ عمرا كاد يَبْلى *** وننسِجُ من لذائذِنا وِشاحا
فأطلِقْ مِعزَفي من قيْد صمتٍ *** وأيْقِظْ بالهديلِ بي الصُداحا
ألسْتَ يمامتي السمراء مدّتْ *** على عمري ومطمحه جَناحا ؟
فلا تُطلِقْ سراحي .. إنّ قلبي *** يضيعُ غداةَ تُطلِقه السّراحا
وعلمني التجلدَ حين تُرسي *** إليّ لظى صدودِكَ والجراحا
وشيْتُ بفوح ثغرك للأقاحي *** فناصَبَكَ الشذا حَسَدا جِماحا
شبيهَ الياسمين يدا وخدّاً *** وجيدا .. إنما زاد امتِياحا
أسَرْتَ بزهرِثغرِكَ نحلَ ثغري *** وفي مُقلي تحدّيْتَ المِلاحا
خسرْتُ سفائني وضفافَ نهري *** وبستانَ المنى ... فكن الرِباحا
فما نفعُ الشِراعِ بغير بَحر *** وريح ؟ كنْ بحاري والرِياحا
وصاهرني يدا ..قلباً .. وجفنا *** فماً صوتاً صدىً خطوا وساحا
وحاذِرْ من جنون فمي .. فإني *** ظميء شذاكَ من شفتيكَ فاحا
أخافُ على ربيعكَ من خريفي *** ومن شوق تملّكني اجتياحا
فضرّجْ بالرحيق يبيسَ ثغري *** ونادِمني غبوقا واصطباحا
وصُبّ فيوضَ بوحكَ في قصيدي *** فما شعري إذا ألِفَ النواحا ؟
عرفتكَ للهوى وطنا ... فوَطّنْ *** بقلبك ذا الغريبَ المُسْتباحا

وأمْهِلني البقيّة من حياتي *** أريح بها فؤادا ما استراحا
فعروةُ لا يزالُ يفيض وجداً *** وإنْ ركبَ المفاوزَ والبِطاحا(٣)
وما سألَ النجاحَ يداً ... ولكنْ *** بحبّك يسألُ اللهَ النجاحا

---

(١) الجناح : بضم الجيم ، الإثم او الخطيئة
(٢)الصراح : الخالص من كل شيء
(٣)المفازة : الفلاة لا ماء فيها.. وعروة : هو امير الصعاليك عروة بن الورد

تواقيع بالنبض

١
صغير كالبرتقالة قلبي
لكنه
يَسَعُ العالمَ كلَه .
٢
أنتِ لستِ شمسا
وأنا لستُ زهرةَ دَوّار الشمس
لماذا إذنْ لا يتجهُ قلبي
إلآ نحوك ؟
٣
لقد رميتُ قوسي وسِهامي
رافعا وجهي راية استسلام
فكوني المشنقةَ التي ترفعُني الى السماء
أو
القيدَ الذي يشدُّني الى الأرض
٤

قلبي

له حجرتان

لكنه لايتّسعُ إلآ لحبيبة واحدة

٥

بين احتضاري في غيابك

وانبعاثي في حضورك :

أتدلى مشنوقاً بحبل أسئلتي

مُحَدقا بغد مضى

وبالأمس الذي لم يأت بعد

٦

أكلّ هذه السنين العجاف ...

الهجير ...الحرائق ...

معسكراتُ اللجوء... المنافي

وقلبي لمّا يزل أعمقَ خضرة

من كل بساتين الدنيا ؟

٧

جنون قلبي

الدليل

على سلامة عقلي

٨

قبل كُلَ لقاء

قلبي يتبرّج لك

يُكحّلُ بالدفءِ أجفان نَبْضهِ

ويُخضّبُ دمَهُ بحِنّاءِ الحنين...

ماؤكِ لا ترابي

أعْشَبَ حقولَ أبجديّتي...

كيف تَلِدُ الدُنيا قارات جديدة

ما لم يحتضنُ عشّك عصفوري ؟

٩

أيتُها البعيدة كقلبي عن يدي

القريبة كالشمس من عينيّ

لِنُقِمْ مملكة القناعةِ

فأبايعك مليكةً

في أقاليم جنوني

١٠

الدينُ محبّة ...

المحبّة دين ...هما شفتان لفم واحد ...

أثمّة نهر بضفة واحدة ؟

١١

بعيدا بعيدا رميتُك ...

لا في لُجّة بحر أو متاهة غابة

إنّما

في أعماق قلبي ...

هَبْك ستَهْربين منه...

ولكنْ

من أين لك القدرة

على اجتياز قُضبان ضلوعي ؟

١٢

كلّ ضغائن العالم

أضعفُ من أن تهزمَ

قلبين مُتَحابّين

١٣

الحبّ والوطن توأمان سياميّان...

متشابهان...

باستثناء أنّ للوطن حدودا

ولا حدودَ للحب

١٤

الوطن جسد

الحبّ روح...

باتحادهما يتشكل قوسُ قُزَح المواطنة..

١٥

ما لي والفانوس السحري ؟

لا حاجة بي للمارد

ما دمت بقلبي ...

١٦

قبلَ أنْ تسكنيه

لم أكنْ أعرف

أنّ لقلبي

قلبا

١٧

حين عَذبَني وطني

قتلتُه ودفنْته في قلبي...

أين سأدفن قلبي

حين تجف سواقي النبض ؟

١٨

لن أحترمَ سيولي

إنْ لم تتلاشَ في واديك...

أنا وأنتِ عقربا ساعة العشق

في اللا زمن

١٩

هل أنت دُمية وأنا طفل ؟

ما غفوت

إلآ وأنا مُطبِق أجفاني عليك

٢٠

ذات دُعاءٍ صرختْ روحي :
اللهمّ أعْطِني قلبا لا يعرف الحب
واغفر لي لو جنحت ...
فالقلب الذي لايعرف الحب
لن يعرفَ العبادة

ثلاث بطاقات تعزية

***

إلى روح فقيد الوطن والأمة العربية والاسلامية الأديب العربي الكبير
معالي الشيخ عبد العزيز التويجري طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته

***

(١) الى أسرة الفقيد ألهمهم الله الصبر والسلوان
الحارسُ الأمينُ نامَ ؟
ربّما أتعَبَه السّهاد ...
لكنها :
قيْلولة المُجاهد الذي اصْطفاه سادِنا
لحرفِه الجهاد ...
وانتدَبَته ناطقا مَكارِمِ الأخلاق
والمَروءةُ التي بها تفاخر العِباد ...
لا تندبوه إنْ رثاهُ الحرف والمِداد ..
أو
اشتكى غيْبَته المحراب والكتاب
واشتاقتْ إلى ظلالِه المهاد ..
وافتقدتْ حكمتَه البلادُ ..
وانتظرتْ خطوته الواحة

واليبنوع والورّاد ..

وخيمة المعروفِ

واشتاقتْ إلى دواته صحيفة

و"ضادُ " ..

لا تندبوه .... لمْ يمُتْ

فإنّ إغفاءَته هُنيهة

يعقبُها ميلادُ ..

في جنة

أعدّها اللهُ لمنْ

نافحَ عن حنيفِه

حصانُه يقينه

وسيفه الحكمة والرّشاد

***

(٢) إلى المروءة ومكارم الأخلاق

لا مثوى للفضيلة ..

فأيّ نعش يقوى على حمل مدينة حكمة ؟ وأيّ قبر

يتسع لروحٍ مضاءة بتقوى الله ، معطرة بحب حبيب

الله الصادق الأمين ؟"

كان غصنا فوق الأرض ...

وحين غفا .. أصبح جذرا طيبا في رحمها ..

ليس تابوتا هذا الذي حملته الأكتافُ

إنه هودجٌ استراح اليه الجسد الصبور..

أمّا الروحُ ؟ فقد حلقتْ بعيدا بعيدا

إلى حيث كان يصعد بخورُ صلواته ، مخضّبا بالدعاء

سائلاً الله أنْ يجعل من ملائكة لطفِه

رِواقا لخيمة (لا إله إلا الله .. محمد رسول الله)

وأنْ يجعل خبز فقراء الأمة ،أكبر من الصحن

والصحنَِ أكثر اتساعا من المائدة ..

....

....

....

لنْ أرثيك سيدي المعلّم ...

فالموعودون بالجنة بإذن الله لا يقبلون الرثاء ..

يا سيّدي النجديّ لستُ بنادب

أعطاك .. ثمّ أرادك الوهّابُ

لكنما طبعُ الضعيف بكاؤه

وجْدا وطبعُ الغيمة التسكابُ

***

(٣) إلى تلاميذ الفقيد وأنا منهم

خَتَمَ الذهولُ فمي ... فشقّ سكوت

ثوبَ البكاء ... وأجْهَش المكبوت

فاسْتنجدتْ عيني بحبلِ دموعها

وأنا ببئر فجيعتي مسبوت (١)

لطم الفؤادُ ضلوعَه مُسْتغرِبا :

عجبا ! أيحملُ أمّة تابوت ؟؟

فأجابني صوتُ اليقين مؤاسياً:

هي رحلة ميعادُها موقوتُ

قد كان ضيفا في الحياة وأهلها

واليوم عادَ .. فدارهُ الملكوتُ

____

(١) المسبوت : المغمي عليه

استراليا

١٤ ٦ ٢٠٠٧

أنا البدوي

دَعيني مِنْ أماسيك العِذاب *** فما أبْقى التغرّبُ من شبابي
قلبْتُ موائدي ورمَيْتُ كأسي *** وشيّعْتُ الهوى ورتجْتُ بابي
خَبَرْتُ لذائذ الدنيا فكانتْ *** أمَرَّ عليَّ من سَمّ وصابِ (١)
وجَدْتُ حَلاوةَ الإيمان أشهى *** وأبْقى من لماكِ ومن إهابي (٢)
أنا جُرْحٌ يسيرُ على دروبٍ *** يتوه بها المُصيبُ عن الصواب
سُلِبْتُ مسرّتي واسْتفرَدَتني *** بِدار الغربتين مِدى ارتيابي
وحاصَرَتِ الكهولة بعدَ وَهْنٍ *** يدُ النكبات جائعَة الحِراب
وما أبْقتْ ليَ الأيّامُ إلآ *** حُثالتها بإبْريق خَرابِ
ترشفتُ اللظى حين اصطباحي *** وأكمَلتُ اغتِباقي بالضباب
تحَرّضُني على جرحي طيوفٌ *** فأنْبِشُها بسكِيني ونابي
ورُبَّ لذاذة أوْدَتْ بنفس *** وحِرمان يقودُ إلى الطِلاب
أنا البَدَويّ .. لا يُغري نياقي *** رُخامُ رُبىً وناطِحة السحاب
ولا يُغوي صُداحَ فمي وقلبي *** سوى عزفِ السّواني والرَّبابِ(٣)
ودلةِ قهوة ووجاق جَمْرٍ (٤) *** تحلقَ حولهُ ليلا صحابي
وبيْ شوق إلى خبز وتمْرٍ *** كما شوق الضرير إلى شهاب
وللبَن الخضيض وماء كوزٍ (٥) *** وظلّ حصيرة في حرِّ آب
فطِرْنا قانعين بِفقر حال *** قناعة ثغر زِقّ بالحبابِ (٦)
أبٌ صلى وصام وحجّ خمساً *** وأمٌّ لا تقوم عن " الكتاب "
وأطفالٌ ثمانية ... أنابوا *** عن الدنيا فراشات الرّوابي
ألا يا أمس : أين اليومَ مني *** صباحات مُشعْشِعَة القِبابِ ؟
وفانوسٌ خجولُ الضوء تخبو *** ذبالتهُ فيُسْرجُها عِتابي ؟
وأين شقاوتي طفلا عنيداً *** أبى إلآ مُراكضة السّراب ؟
أُشاكِسُ رِفقتي زهوا بريئاً *** ومن "خيشٍ وجنفاصٍ" ثيابي(٧)
ألوذ بحضن أمي خوفَ ذئب *** عوى ليلا ورعبا من عُقاب ؟
كبرتُ وما يزال الخوفُ طفلاً *** وقد صار الفراقُ إلى ذِئاب !!

يُشاكسُ خطوتي دربٌ طويلٌ *** فعَزَّ عليَّ يا أمي إيابي

وعزَّ على يديك تمسُّ وجهي *** لتمسَحَ عنه ذلَّ الإغترِاب

وعاقبني الزمان ! وهل كنأيٍ *** بعيد عن بلادي من عِقاب ؟؟

تقاسَمَتِ المنافي بعضَ صحبي *** وبعضٌ ألحَدَتهُ يدُ الغياب (٨)

عشقت ديارَ ليلى قبل ليلى *** فمِن رَحِمِ الصِبا وُلِدَ التصابي

ولستُ بمُبْدِل كأسا بكوز *** ولا لهوا بعِفة " ذي نِقابِ "

ولكن شاءتِ الأيامُ مني *** وشاء جنونُ طيشي من لُبابي

ولولا خشيتي من سوء ظنٍ *** وما سيُقالُ عن فقدي صَوابي

لقلت : أحِنُّ يا بغدادُ حتى *** ولو لصدى طنين من ذبابِ

لطين في الفرات وضُنك عيشٍ *** جوارَ أبي المدَثر بالترابِ

جوارَ أُخيَّة .. وأخٍ .. وأمّ *** وأحْباب يُعَذبُهم عذابي

أظلُّ العاشقَ البدويّ.. أهفو *** إلى نخل وللأرض الرَّغابِ (٩)

إذا كان العراقُ رغيفَ روحي *** فإنّ ندى محبتكم شرابي !!

---

(١) الصاب :نبت شديد المرارة

(٢) الإهاب : الجلد لم يدبغ بعد

(٣) السواني : جمع سانية : لآلة بدائية لرفع الماء من البئر

(٤) الوجاق :موقد الحطب

(٥)اللبن الخضيض : اللبن الذي تستخلص زبدته بواسطة الخض في قربة .

(٦) الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء

(٧) الخيش والجنفاص : نسيج خشن من الكتان شاع استعماله في العراق قبل عقود

(٨) ألحدته : دفنته في اللحد

(٩)الرغاب : الارض التي تشرب الكثير من ماء المطر فلا تسيل "كناية عن البادية "

ليالينا عقيمات ... ولكن

تأمّلني طويلا ... ثمّ قالا *** أظنك تشتكي داءً عُضالا

شحوبٌ وارتجافُ يدٍ وخطوٌ *** لِثقل همومِهِ إنْ سارَ مالا

دواؤكَ في العراقِ فإنْ تعافى *** وغادَرَهُ الغزاةُ حسُنتَ حالا

ولستَ بذي خيولٍ ضامراتٍ *** تصدُّ بها عن الوطن الوَبالا

فيا ابنَ الغربتينِ أطِلْ دُعاءً *** بنِيّة مُسْتغيث .. وابتِهالا

ويا ابنَ الغربتين وكلّ عاة *** يُطالُ وإنْ تحَصّنَ واسْتمالا

فيا ابْنَ الغربتين أمنْ فِراق *** جزعْتَ وأنتَ لم تعرفْ وصالا؟

كأنكَ قدْ خُلِقتَ الى شِراعٍ *** وريح واحْترَفتَ الارْتِحالا

تَبَلدْ يا عليلُ .. فرُبّ عقل *** يُزيدُ لدى العليل الإعتلالا

فلا تأملْ من القاصي نصيراً *** إذا الدّاني يُريدُ لك الزّوالا

مضى زمنُ الشهامةِ واستكانتْ *** ضوامرُهُ فأدْمَنتِ الظِلالا

" تأمْرَكتِ" العَراقةُ في نفوسٍ *** تبيعُ بنصف دولار " عِقالا "

تبارِكُ للغزاة منىً ورأياً *** وتشحَذُ للمُغيرينَ النّصالا

تبَدّلت النفوسُ وعَفرَتها *** مطامِعُها فغيّرَتِ الخِصالا

ولوّنتِ الوجوهُ فلستَ تدري *** أ"معتصما" تُحَدّثُ أمْ"رُغالا"(١)

لعِنْتَ أبا رُغال بئسَ جاها ***كسبْتَ وبئسَ منزِلة ومالا

فتبّا للدليلِ يقودُ زحفا *** على أهليهِ غيّا أو حَلالا

عَجِبْتُ على الخيانة أنْ تسمّى *** وقدْ فاحتْ عفونتها نضالا !

وتبّا "للمهيبِ" أبى انتِصاحاً *** فلمْ يسْمَعْ لذي نُصْح مقالا (٢)

ولمْ يرفعْ عن الأعناق سيفاً *** مُسَلطة .. ولا أرخى حِبالا

وتبّا للقويّ يشنّ حربا *** على وطن الأراملِ والثكالى

تكاملت النقائصُ فيه حتى *** غدا لكمال نِقصان مثالا

ويا ابن الغربتين سلِ الرمالا *** إذا غضِبَ ابنُ دجلة والجبالا

يظلّ ثرى العراق ثرىً وَلوداً *** وإنْ عَقمَ الزمانُ أو استحالا

فما خذلتْ مفاوِزُهُ " المثنى " *** ولا نسِيَتْ مآذنهُ " بِلالا "

ليالينا عقيمات ... ولكنْ *** ستقفوها صباحاتٌ حُبالى (٣)

فلا تقنط هي الأرحامُ حتما *** سَتُنجِبُ للمُلمّات الرّجالا

يشنون الضياءَ على ظلامٍ *** ليغدوَ قيحُ دجلتنا زُلالا

---

(١) ابو رغال : هو العربي الملعون الذي كان الدليل لأبرهة الحبشي في حملته لهدم الكعبة .
(٢) : اشارة الى خطيئة صدام حسين برفضه فكرة التنحي عن السلطة لتجنيب العراق الحرب الكارثية والاحتلال .
(٣) ستقفوها : ستتبعها .

حكاية في ليل بهيّ

لَيْل حِجابُك .. حولَ وجْهِكِ قدْ سَجا *** فعَجِبْتُ إذ جُمِعَ الضياءُ مع الدُّجى
جَلسا معا : ليلٌ وصُبْحٌ مُشمسٌ *** فكأن بَدْرا بالظلام تبَرَّجا..!
ومَشتْ.. فقلت : ربابَة تمشي على *** صدري .. فحُقّ لخافقي أنْ يَهزِجا..!
وتثاقَلتْ في الخطو تفتعِلُ الضَّنى *** فودَدْتُ لو كانتْ ضلوعي هَوْدَجا
لاصَقتها خطوي ... وأجْلسَنا معا *** حظ مكانا في " الشبيكة" مُسْرَجا (١)
فاسْتنفَرَتْ مني بقايا عاشق *** قدْ كان يوما بالهُيام مُضرَّجا
واستنْطقتني فِتنةٌ وحْشيّة *** ألفيْتُ قلبي نحْوَها مُسْتدْرَجا
نشرَتْ سَحابَة عِطرِها فتنفسَتْ *** روحي عبيرا يسْتبيحُ ذوي الحِجا (٢)
مرّتْ لحَيْظات .. وكلٌّ يرْتجي *** مِنْ صَمْتِه نحوَ التحَدُّث مَخرَجا
حَيّيْتها ... وزَعمتُ أني تائه *** ضلَّ الطريقَ وقدْ أضاعَ المُرتجى
ردّتْ بمِثلِ تحيّتي ... لكنها *** زادَتْ عليها رِقة وتغنجا
ضَحِكتْ وشعّ العُشبُ في أحداقِها *** حتى ظننتُ الليلَ حقلا مبْهِجا
واسْتظرفَتْ آها يُخالِطُ جَمْرَها *** ماءٌ وهَمسا كادَ أنْ يتَهَدَّجا
سألَ الغريبُ غريبة قالتْ وقدْ *** لثغَتْ ب " راءِ " فم أذابَ وأثلجا:
جئنا إلى حجّ .. وأوشكَ جَمْعُنا *** عَوْدا ... فقدْ شدَّ الركابَ وأرْتجا
أزِفَ الرّحيلُ إلى "الشآم " فأهلنا *** قدْ هيّأوا زادا لنا وبنَفسَجا
فأجَبْتُها وفمي يكادُ يَفِرُّ منْ *** وجهي ليسْكنَ ثغرَها المتأرِّجا (٣)

شاميّة ؟ مَلكَ القلوبَ جمالكم *** وكم اسْتذلّ مُكابرا ومُدَجَّجا

ما بيننا قربى الفرات وجيرَة *** وجذورُ أنْساب وغُرْبَة مَنْ شجا

للجار حق لو عَلِمْت ومثله *** حقُّ القرابة فلتصوني المنهجا

فتوَهّجَ التفاحُ في وَجَناتِها *** خجْلا فزادَ من الجمال توهُّجا

واهْتزّ عصفوران تحتَ عباءةٍ *** عبثتْ بها ريحُ الصَّبا فترَجْرَجا

وعلى مرايا الجيدِ فرْطَ نعومةٍ *** نظري إلى النَحْرالمضيء تدحرجا

زَمّتْ عباءتها ... وأحسبُ أنها *** زَمّتْ على عينيَّ جفنا أهْوَجا

واسْتَحْكمَتْ شِقَّ القميصِ وأسْدلتْ *** شالا بلون المقلتين مُزجَّجا (٤)

قالت وكان الفجرُ بِدْءَ طلوعِه : *** بغد سنرحلُ قبل ميعاد الدُّجى

فاطرقْ بلادَ الشام حيث عشيرتي *** وأبي إذا كنتُ المُنى والمُرتجى

عَرِّجْ علينا ليلة وصبيحة *** وارجعْ بقلبي لا يديّ مُتوَّجا

أو كنت تلهو فاعْلمَنَّ : قرُنفلي *** يغدو إذا شِئتَ الغِواية عَوْسَجا

ويصيرُ لفحا نفحُ ورد حديقتي *** ونسيمُ شطآني لظىً مُتأجِّجا

عَرِّجْ تجِدْ أهلا وبيتَ محبّة *** قدْ فازَ مَنْ رامَ الحبيبَ فعَرّجا

مكة المكرمة

(١) الشبيكة : حي من أحياء مدينة مكة المكرمة .

(٢) الحجا : سداد الرأي

(٣) المتأرج : الذي به أريج عطر ذكي .

(٤) مزجج : الخالي من الزوائد ... (المعنى مأخوذ من تزجيج الحواجب بإزالة الشعر الزائد وتقويمها).

رباعيات

***

في يدي وردٌ .. وفي روحيَ جُرْحُ *** فالنقيضان أنا : ليل وصُبْحُ

والصّدّيقان أنا : شمس وظِلٌ *** والعَدُوّان أنا : ثأر وصَفح

لا أنا الصّاحي فأغفو عن أسىً *** أو أنا النائمُ جذلانَ فأصْحو

لَمْ تزلْ صفحة عمري زَبَداً : *** تكتبُ الأحلامُ ... والأقدارُ تمحو

***

حاربْتُ نفسي قبلَ حرب عُداتي *** فنصَرْتُ حِرْماني على لذاتي

حرّرْتُ روحي من قيود رغائبي ***كي لا تكون أسيرة النزَوات

ونسجتُ من وَبَر الفضيلة خيمتي *** وجعلتُ أحداقَ الورى مرْآتي

كم من حروب خضتها .. وأشدُّها ***كانت مُحاربتي نوازِعَ ذاتي

***

ما حِيلتي ... والليلُ يا قلقي *** يُغري عيونَ الصبّ بالأرَق ؟

نعِسَ الكلامُ فنام في شفتي *** فاسْتنطقتهُ صبابة حَدَقي

فإذا أطلَّ النجمُ يركضُ بيْ *** قلمي لِيَلثمَ وجْنة الوَرَق

لولا ظلامُ الليلِ ما ارْتقبَتْ *** روحي النهارَ ومُقلة الألق

***

لا تيْأسَنَّ وإنْ دجا الأُفق *** فغدا سيلثمُ جفنك الألقُ

فارْكبْ ولو أنَّ الطريقَ لظىً *** واصبرْ ولو أنّ الضنى فِرَق

هيهاتَ يأتي قبلَ موعِدِه *** غسَق وبعدَ الموعد الشفقُ

صبْرا على البلوى فأمّتنا *** وُعِدَتْ بما تصبو له الحَدَقُ

***

هذا مصيرُك ! فاقبل الغرَقا *** ما دُمْتَ تركبُ زورقا ورقا

هل كنت ترجو من مُعَتقةٍ *** شهدا .. وعتمة حانِها ألقا ؟

كلُّ اللذائذ غيرُ باقيَة *** إلآ لذاذة عِفة .. وتقي

يا ويحَ نفسي كيف أرْكبَني *** نَزَق الصِّبا لِغِوايَة طرُقا !

***

قلتُ : ما حالك ؟ قالتْ حالِكُ *** هَلك الأمسُ .. ويومي هالِكُ

كلنا يسْلكُ يوميْه .. وقدْ *** بقيَ الدَّرْبُ .. وغابَ السّالِكُ

خسِرَ السّاهي وقد كان له *** ألقُ الدنيا .. وفاز الناسكُ

ولقدْ يضحك باك في غدٍ *** عمرُهُ الدّهرُ ويبكي ضاحِكُ

هل هذه بغداد ؟

***

أغمَضتُ عن شجر الهوى أحداقي *** فاسكبْ طِلاكَ على الثرى يا ساقي

ورمَيْتُ عني بُرْدَة أبليْتها *** في حَرْب أشجاني على أشواقي

وبِصَخْر صَبْر ما التحفتُ بغيرِه *** وأنا أجوبُ متاهة الآفاق

ما عُدْتُ تنورا لخبز صبابة *** سُفنُ المَسرَّة آذنتْ بِفِراق

جفَّ الصُّداحُ على فمي وتخثرتْ *** لغتي ... وفرَّ الحرفُ من أوراقي

وتعبْتُ من صوتي أُنادي لاهثا *** وطني ونخلَ طفولتي ورفاقي

وأحِبَّة مرّتْ على بستانِهمْ *** خيْلُ الغزاة فأصْحَرَت أعماقي

وأنينَ ناعور وضحكة جَدْوَل *** ورذاذ فانوس وجَمْرَ وِجاق (١)

أشفقتُ من خوفي عليَّ فأحْرَقتْ *** نارُ الفؤاد سُلافة الإشفاق

أدْمَنتُ خسرا منذ فجر يفاعتي *** وهْمُ المُنى ضرْبٌ من الإخفاق

غرَسوا الظلامَ بمُقلتي .. فتعطلتْ *** شَمْسي ونافذتي عن الإشراق

المُطلِقونَ حمائمي من أسرِها *** شدُّوا الترابَ وماءَهُ بوِثاق

فإذا بتحريرِ العِراق وليْمَة *** حفلتْ بما في الأرض من سُرّاق

ما العُجْبُ لو خانَ الفؤادُ ضلوعَهُ ؟ *** إنَّ الذي خانَ العراق عِراقي ..!!

المُسْتغيث من الظلام بِظلمَة *** أدْجى .. ومن مُسْتنقع بِذعاق (٢)

فإذا النضالُ نِخاسة مفضوحة *** فاحَتْ عفونتها بسوق نِفاق

وإذا الطِماح مناصِبٌ مأجورة *** يُسْعى لها زحْفا على الأعناق

ولقدْ رأيْتُ النخلَ يلطِمُ سعْفه *** خجَلا من الماشينَ مشيَ نِياق (٣)

هل هذه بغدادُ ؟ كنتُ عرفتها *** تأبى مُهادَنَة الدّخيلِ العاق

تأبى مُساوَمَة على شرفِ الثرى *** وتجودُ قبل المال بالأرْماق

ورثتْ عن "الحُرِّ"الحُسامَ وعزمَهُ (٤) *** وعن " الحسين" مكارمَ الأخلاقِ

هل هذه بغداد ؟ تأكلُ ثدْيَها *** فإذا بِها وعَدوَّها بوِفاق ...؟

لو أنّ ليْ أمْرا على قلبي فقد *** عَجَّلتُ من تِهْيامِها بِطلاق
عَقدَتْ على طينِ العراقِ قِرانَها *** نفسي فمَهْري خافقي وصِداقي
أخفقتُ في عشقي فكنتُ غريبَهُ *** إنَّ التغرُّبَ مُنتهى الإخْفاق
هذا دمي يا نخلُ .. مُصَّ رفيفهُ *** فلقد رأيتك ظامئ الأعْذاق
أسْعِفْ خريفي بالربيع لينتشي *** وردُ المُنى في روضة المُشتاقِ
واكنسْ ظلامَ الطائفيّة بالسَّنا *** وأعِدْ لِدِجلة زورقَ العشاق
فعسايَ أبتدئ الحياةَ ..فلا أرى *** وطني ذبيحا والدماءَ سواقي
***
يا أنت يا قلبي أمثلك في الهوى *** يشكو مواجعَ غرْبَة وفِراق ؟
أوَلسْتَ مَنْ صامَ الشبابَ مُكابرا *** عن ماء أعْناب وخبز عِناقِ ؟
والمُثمِلات لذاذة بِمَباسم *** والمُمْطِرات عذوبة بمآقي ؟
يا مَنْ أضَعْتَ طفولة وفتوَّة *** ماذا ستَخْسَرُ لو أضَعْتَ الباقي ؟
هل في جِرار العُمْر غيرُ حُثالة ؟ *** أطبِقْ كتابَكَ .. لاتَ وقتَ تلاقي !

---

(١) الوجاق : موقد الحطب
(٢) الذعاق : المرّ
(٣) إشارة الى اشخاص بعينهم ذكرهم بول بريمر في كتاب مذكراته "عام في العراق "
(٤) الحر : هو الحر الرياحي

رباعيات أخرى

لا تسْرفي باللوم والعَتبِ *** فأنا وإنْ جزتُ الشبابَ صبي
قلبي به للحب ألفُ مدىً *** رَحْب وِغاباتٌ من الوَصَبِ (*)
إنْ أغضَبَتك صبابتي فأنا *** أطفَأتُ في نيرانها غضَبي
قدْ أوْرَثتني عِفة بهوى *** أمّي .. وأوْرَثني الوفاءَ أبي

**

قالتْ : رأيتكَ ذابلَ المُقَل *** أمِنَ الدُّجى ؟ أمْ كثرةِ الشعَل ؟

فأجَبْتُ : إنَّ كليهما هَتكا *** عيْنيَّ يا صوفِيَّة القبَل

بصباحِ وجْهِك وهو نهرُ سناً *** وبليل شعرِك هائِمِ الخصَل

بعضُ الجنون ضرورة لفتىً *** خَبَرَ الهوى طفلا .. ولمْ يَزَل

**

خِلتُ الجفونَ تفرُّ من حَدَقي *** لِتضُمَّ زنبقَ وجْهِك العَبِق

وَثَقَ الربيعُ بنا .. فأوْدَعَنا *** سِرَّ اتحاد الوَرد بالعَبَق

غَسَلَ الأصيل وقد رآك معي *** منك الخدودَ بِحُمْرَة الشفق

وأنا غداة رحلتِ عن مُقلي *** غسَلتْ عيوني وحشة الغسَقِ

**

حاولتُ مرّات .. ولمْ أُصِبِ *** رسْمَ الرحيق بِثغرِك العَذِب

يا أنت .. ما أقساكِ في شفتي *** بَوْحا وما أشجاك في عَتَبي !

زَخَّ الفؤادُ عليك من شغَف *** نبْضَ الهوى فاعشوشبتْ كتبي

وضحكت لي يوما فضاحكني *** قَمَرٌ جفاني منذ كنتُ صبي

**

إنْ تسألي شفتي فلنْ تجدي *** ماءَ الجواب المرتجى لِصَدي

فاسْتنطقي عيْنا يحاصِرُها *** شوق به يومي أذلَّ غدي

واسْتحْلِفي قلبي : أفارَقهُ *** شغَفٌ الى الأحباب والبَلدِ ؟

منذ ارتميتُ بغربة وأنا *** مَيْتٌ .. ولكنْ نابضُ الجَسَد

شاهدة قبر من دموع الكلمات

***

" الى روح أمي طيّب الله ثراها "

***

(١)

لِيَ الآنَ

سبَبٌ آخر يمنعني من خيانة وطني :

لحافُ ترابِه السميك

الذي تدَثرَتْ به أمي

في قبرها أمس !

(٢)

وحدُهُ فأسُ الموتِ

يقتلعُ الأشجارَ من جذورها

بضربة واحدة

(٣)

قبل فراقها

كنتُ حيّا محكوما بالموت ..

بعد فراقها

صرتُ مَيْتا محكوما بالحياة

(٤)

لماذا رحلت

قبل أنْ تلديني يا أمي ؟

أما من سلالمَ أخرى غير الموت

للصعود نحو الملكوت ؟

(٥)

في أسواق " أديلايد "

وَجَدَ أصدقائي الطيبون

كل مستلزمات مجلس العزاء :

قماش أسود .. آيات قرآنية للجدران ..

قهوة عربية .. دِلالٌ وفناجين ..

بخورٌ ومِسْك ..

باستثناء شيء واحد :

كوبٌ من الدمع حتى ولو بالإيجار
أعيد به الرطوبة
إلى طين عينيَّ الموشكتين على الجَفاف !
(٦)
لم تحملْ نعشها عربة مدفع
ولم يُعزف لها مارش جنائزي ..
أمي القروية لا تحِبُّ سماعَ دويِّ المدافع
ليس لأنه يُفزِع العصافير فحسب ..
إنما
ولأنه يذكرُها ب " الطراطير" ..
الذين أضاعوا الوطن .. وشرَّدوني ..
نعشها حَمَلتهُ سيارة أجرة
وشيعَتها عيونُ الفقراء
والعصافيرُ
والكثيرُ من اليتامى
يتقدمهم شقيقي بطرفهِ الإصطناعية
وشقيقتايَ الأرملتان ...
يتقدَّمُ الموكبَ
جدولٌ من دموعي
(٧)
كيفَ أغفو ؟
سَوادُ الليل يُذكرُني بعباءتها ..
وبياض النهار يذكرني بالكفن ..
يا للحياة من تابوت مفتوح !
أحيانا
أعتقدُ أنَّ الحَيَّ ميتٌ يتنفسُ..
والميْتَ حيٌّ لا يتنفس..
(٨)

الأحياءُ ينامون فوق الأرض..

الموتى تحتها ..

الفرقُ بينهم : مكانُ السرير

ونوعِ الوسائد والأغطية !

(٩)

آخرُ أمانيها :

أنْ أكونَ مَنْ يغمضُ أجفان قبرِها ..

آخرُ أمنياتي

أن تُغمِضَ أجفاني بيديها ..

كلانا فشلَ في تحقيق أمنية متواضعة

(١٠)

أيها العابرُ : لحظة من فضلك ..

هلا التقطتَ لي صورة تذكارية مع الهواء ؟

وثانية مع نفسي ؟

وثالثة عائلية

مع الحزن والضجر

وأمي النائمة في قلبي ؟

(١١)

سبحانك يا رب !!

أحقا إنَّ عذابَ جهنمَ

أشدُّ قسوة من عَذابي

حين تعَذرَ عليّ توديع أمي ؟

آه ... لو أنَّ ساعي بريد الآخرة

قد وضعَ الرسالة في صندوق عمري

لا على وسادة أمي ..

(١٢)

أشقائي غطوها بلحاف سميك من التراب ..

ربما

كي لا تسمعَ نحيبي

وأنا أصرخ في البريّة مثلَ طفل ملدوغ : أريد أمي

فتبكي ..

(١٣)

لست ثمِلا ..

فلماذا تنظرون إليَّ بازدراء

حين سقطتُ على الرصيف ؟

منْ منكم لا ينزلقُ متدَحْرِجا

حين تتعثرُ قدماه بورقة أو قطرة ماء

إذا كان يحملُ الوطنَ على ظهْره

وعلى رأسه تابوتُ أُمِّه ؟

(١٤)

يا كلَّ الذين أغضبْتهم يوما

من أصدقاء طيبين .. ومجانين .. وباعة خضروات ..

وطلبة .. وزملاء طباشيرَ وأرصفةِ منفى :

إبعثوا إليَّ بأرقام هواتفكم ..

فأنا أريدُ أن أعتذر منكم

قبل ذهابي للنوم

في حضن أمي

(١٥)

وأنتم أيها الهمجيون

من متحزِّمين بالديناميت .. وسائقي سيارات مفخخة ..

وحَمَلة سواطيرَ وخناجرَ :

كفى دويَّ انفجارات وصخبا ..

إنَّ أمي لا تحبُّ الضجيج ..

الطيبة أمي ما عادت تخاف من الموت ..

لكنها

تخاف على العصافير من الشظايا ..

وعلى بخور المحراب من دخان الحرائق

(١٦)

حين أزور أمي

سأنثر على قبرها قمحا كثيرا ..

أمي تحب العصافير ..

كل فجر :

تستيقظ على سقسقاتها ..

ومن ماء وضوئها : كانت أمي

تملأ الإناء الفخاري تحت نخلة البيت

وتنثر قمحا وذرة صفراء

(١٧)

في صِغري

تأخذني معها إلى السوق ..وبيوت جيراننا ..

وإلى الأئمة

حين تزور الأضرحة محملة بالنذور الشحيحة ..

حتى وأنا في مقتبل الحزن

لا تسافرُ إلآ وأنها معها ..

لماذا إذن سافرت وحدها نحو الملكوت ؟

ربما

تستحي من ذنوبي ..

آه

من أين لي بأم مثلها

تساعدني في غسل ذنوبي

بكوثر دعائها حين تفترش سجادة الصلاة ؟

(١٨)

يا أحبّائي الطيبين

لا تسألوا الله أن يملأ صحني بخبز العافية ..

وكوزي بنمير الإنتشاء ..

فأنا الان بحاجة إلى :

صبْر رمال الصحراء على العطش ..

وتجَلد بغل جبليٍّ ..

وبلادة خروف ..

ولا بأسَ

من عقل حمار

(١٩)

لم تكن أنانية يوما ..

فلماذا ذهبت الى الجنة وحدها

وتركتني في جحيم الحياة ؟

(٢٠)

مذ ماتت أمي

لم أعدْ أخاف عليها من الموت ..

لكنها قطعا

تخاف الان عليَّ

من الحياة

(٢١)

رباه :

أريدُ أوراقا من ماء ..

لأكتب عليها

كلمات من جمر ..

---

١٦ ٨ ٢٠٠٧

استراليا

على ضفاف نهر الضوء الصوفي (*)

(١)

كل يذهب في حال سبيله :
النهر نحو البحر ...
الوطن نحو الصيارفة ...
العصفور نحو العش ...
الصلوات نحو الله...
وقلبي نحوك ...

(٢)

لا الامطارُ..
لا الأنهار والينابيع ..
إنما: مياهُ أنوثتكِ
أورقتْ في حقل رجولتي
عشبَ الفحولة ..

(٣)

لا يرى الصيّاد من البحر
غير موضع الصنارّة ...
هل يرى الصقر من الفضاء
غير الحمامة ؟
والطفل ؟ هل يرى من الشجرة
غير حبل أرجوحته ؟
كذلك قلبي :
لا يرى من نساء الدنيا
إلآك !

(٤)

لن يكون بعيدا اليوم الذي ينتقم فيه :
الجرحُ من السكين ...
الدموعِ من دخان الحرائق ...
الشجرة من الفأس ...
الأقدام الحافية
من الأشواك ..
القيودُ من صانعيها ...
الأوطان من السماسرة ...
وظباء يقيننا
من ذئاب الظنون !

لن يكون بعيدا اليوم الذي يتآلف فيه :
الخبز مع الجياع ...
العشب مع الصحارى ...
الذئب مع الشاة ...
الوسنُ مع الأجفان المسهدة ...
هذا ما قرأته في كتاب عشقي
المكتوب على فمي
برحيق رضابك !

(٥)
ثمة بياض
أكثرُ عتمة من قعر بئر
في ليلٍ يتيمِ النجوم والقمر...
بياض الأكفان مثلا ....
ثمة سواد يشعّ نوراً
كصباحات الفردوس ..
الحجرُ الأسودُ

وشاماتك مثلا !

(٦)

كيف سألتقيك
لو أنّ الله
خلق الدنيا لي وحدي
ووحدي خلقني للدنيا ؟

(٧)

لأنك اللؤلؤة
فقد شكرت الله كثيرا
حين خلقني صَدَفَة
في بحر عشقك !

(٨)

للطبيعة كتابها :
الأشجار حروف ..
النبعُ مداد ..
والأرض الورقة ..
لا ثمة مَنْ يجيد قراءته
كالطيور والأطفال والعشاق !

(٩)

فمي قلم
لا يُحسِنُ الكتابة
إلآ في دفتر شفتيك

(١٠)

أعرفُ أين يرقدُ "نيوتن "

وأين كانت الشجرة ..

لكن

في أية معدة استقرّت التفاحة ؟

نَعَمْ

العبيد هم الذين شيّدوا الأهرام وسورَ الصين

لكن

أين ذهب عرَقُ جباههم ؟

وصراخهم تحت لسع السياط

أين استقرّ ؟

(١١)

السفينة غرقت ؟

لا ذنب للميناء

إنه ذنب السفينة ...

لا ذنب للسفينة

إنه ذنبُ المجاديف ...

لا ذنب للمجاديف

إنه ذنب السواعد ...

لا ذنب للسواعد

إنه ذنب الرأس ...

آهٍ

كم مملكة عشق اندثرت

لأن رأسا واحداً

رمى فتيله في الغابة المسحورة

ليذيب الجليد المتجمد

في قلبه !

(١٢)

حطبك أنت وليس تنوري

أنضج رغيف قصيدتي ...

دخان ظنونك

وليس بخور احتراقي

أسال دموع حروفي ...

ريحك وليس شراعي

أوصل سفينتي الى الضفة الآمنة

(١٣)

لا شيءَ عديم النفع ..

إنّ وتدا مغروسا في صحراء

قد يكون الدليل

للقافلةِ التائهة ...

(١٤)

ما جئت لأختطفك ..

أنا الضائع منذ عصور النار الأولى

جئت لأبحث فيك

عني .

(١٥)

لم يسمعه أحد

ليس لأنه يصفق بيد واحدة

ولا لأنه مذبوح الحنجرة

إنما

لأنهم اعتقلوا الريح !

(١٦)

كيف الهروب منك

إذا كنت متحدا بك

إتحادَ العطرِ بالوردة

والرايةِ بالسارية

والخضرةِ بالحقول ؟

(١٧)

ليس عيبا أنْ أكون حصاناً للناعور

أو

ناعورا مربوطا الى حصان ...

العيب ؟

ألآ أكون شيئا في حقولك ..

(١٨)

ثمة وقوف أسرع من الركض ..

هذا ما قاله البئر للساقية

في وصفه الناعور !

ثمة ركض أكثر بطأ من الوقوف ..

هذا ما قاله جبل اليقين

في وصفه غزال الظنون

(١٩)

قبلة قبلة

تصفحت كتاب جسدك...

(٢٠)

القلم ليس مصيدة عصافيرَ..
لماذا تهرب عصافير الافكار من شجرة رأسي
حين أمسك القلم ؟

(٢١)
خطيئتك أنك دون خطيئة
في المدن المستريبة...
لا عيبَ فيك
سوى عذابي!

(٢٢)
الفارغون
يظنون الكأس فارغا
مع أنه
مملوء بالهواء !

(٢٣)
ماء المعنى
هو ما يبعث النبض
في تراب الحروف

(٢٤)
أنا أخطر مجرم في التاريخ...
ميزتي عن كل المجرمين
هي
انّ ضحاياي هم : أنا وحدي !

(٢٥)

الآهاتُ حبل من قِنّب الصبابة
ينشر عليه قلبي
ثياب نبضه !
الجبال ليست مصدّاتٍ للرياح ...
إنها مساميرُ اللهِ
في خشَبَة الأرض ..
كمسمار عشقك في لوح حياتي
أنا المُعَلقُ فوق جدار الزمن
في اللامكان !

(٢٦)
الذين يضحكون على بكائنا
متى يفهمون
أننا نبكي على ضحكهم ؟

(٢٧)
الريح ساعي البريد بين :
الحنجرة والأذن ..
الشفة والمزمار ..
المياسم والتويجات ..
الأشرعة والضفاف ..
عبيرك وروحي ..
وبين حطبي ونارك أيضا !

(٢٨)
أوداع
ونحن لم نلتق بعد ؟

(٢٩)

من نِعَم الله على عاشقك المطعونْ
مكرمة الجنونْ

(٣٠)

كي لا أكون قاتلا أو قتيلا :
هربت
فقد يحتاج العالمُ الأعمى
شاهدا للإدلاء بصمته !

(٣١)

لست جبانا ما دمت أمتلك الشجاعةَ
لأعيش حياة
ليست جديرة بأنْ تُعاش

(٣٢)

العالم ملتهب !
لا تكوني حديدا ..
كوني طينا يا حبيبتي

(٣٣)

على ضفاف نهر الضوء الصوفيّ
هيّاتُ لي قبرا من الماء
لأبعث حيّا في عشبك

***

(*) مقاطع من نص طويل بعنوان " مسبحة من خرز الكلمات " الصادرمؤخرا عن دار التكوين الدمشقية

تنويعات على وتر طيني

١ ***

ها أنا أفرشُ أحداقي مياها

ومواويل ...وآس

أرِق

أرتقب الليلة طيفا لحبيبي

ما الذي يصطاد ليْ طير النعاس ؟

٢ ***

بين عينيك وبيني

غابة من شجر الرعب

وصحراءُ البكا ءْ

ولصوصُ المطر ...

الساطورُ ...

مابيني وعينيك فتاوى الأدعياءْ

فلماذا يستحمُّ الغرباءْ

في بلادي

برذاذ الفُلّ والزنبق ؟

والطينُ الفراتيُّ بقيح ودماءْ ؟

ولماذا نحن لا نملك من بستاننا

غير رغيف التبن والزاد الجُفاءْ ؟

٣ ***

من الذي يجتازُ سورَ الليل والمسافة

فيمسحُ الدموعَ من عيوننا

والذل في جبيننا
ويُرجع الخضرةَ للعشب
وللنهر يُعيدُ الماءَ
والأمانَ للكرخ وللرصافة
من دون أنْ يطمح بالخلافة ؟

*** ٤

يا زمن البكاءْ
إنّ الوطن
متّسع كالسماءْ
وضيّقٌ كالكفنْ
*** ***

ثلاثة مشاهد فراتية

١

فَزِعاً فرَّ علي الجهمُ من زنبقةِ القلبِ
إلى دغل الفلاةْ
لا المها تدنو من الجسر
ولا دجلة تُغوي بالرياحين الفراشاتِ...
فكل الشرفاتْ
أغمضت أجفانها منذ اجتياحِ السُّرفاتْ..
واحةَ النخلِ...
وأكواخ (الفراتْ)
* *

٢

أَتُبْعثُ العنقاءُ من رمادها

وعصفُ ريحِ الحرب يا بغدادْ

لم تُبقِ حتى حفنة الرمادْ؟

* *

٣

النبض في أغصاننا

والموت في الجذورْ...

كأننا الناعورْ:

ندور حول نفسنا... وحولنا يدورْ

بسوطه المحتلُّ.. والقاتلُ.. والمأجورْ!

كأننا التنورْ:

نقنع بالدخان من وجاقنا

وخبزنا يأكله المحتلُّ.. والقاتلُ.. والمأجورْ!

—————————————

* علي بن الجهم:الشاعر العباسي الشهير القائل:

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

* السرفات: جنازير عجلات الدبابات

* الحفنة: ما يملأ الكفين

انتهى